الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الإخوة منتوري . قسنطينة 1

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في الأدب الجزائري القديم

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر
تخصص الأدب العربي القديم

إعـــداد
د. توفيق مساعدية

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

البرنامج الوزاري

عنوان الماستر: أدب عربي قديم

السداسي: الثالث

اسم الوحدة: الأساسية

اسم المادة: الأدب الجزائري القديم

الرصيد:4 المعامل: 2

محتوى المادة:

1: فتح الجزائر وتعرّب سكانها

2: انتشار اللغة العربية، والحواضر الأدبية في الجزائر

3: الأدب في عهد الرستميين

4: الأدب في عهد الأغالبة

5: الأدب في عهد الحماديين

6: الأدب في عهد المرابطين

7: الأدب في عهد الموحدين

8: الأدب في عهد الحفصيين

9: الأدب في عهد الزيانيين

10: الأدب في العهد العثماني

11: بكر بن حماد التيهرتي

12: أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني

13: ابن خميس التلمساني

14: أبو العباس الغبريني

15: ابن ميمون الجزائري

16: ابن حمادوش الجزائري

مقـــــــــدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد:

يعدّ البحث في الأدب الجزائري القديم من أصعب المباحث التي تواجه الباحثين الراغبين في لملمة شتات هويتهم المبعثرة في تلك الحقبة التاريخية المسماة؛ المغرب العربي.

فالدولة الجزائرية، بكل تخومها، آنذاك، لم يكن لها حضور جغرافي معلوم، وما وجد منها أو دلّ على حضورها كان عبارة عن مجموعة من الإمارات والممالك المتنافسة والمتصارعة فيما بينها على بسط نفوذها أو السيطرة على ما يسمى بأرض المغرب الأوسط.

ولما حاول المؤرخون التأصيل لأدب هذه الإمارات والممالك الحاكمة للمغرب الأوسط/الجزائر، لم يحفلوا بالتاريخ الأمازيغي للمنطقة الموغل في القدم - نظرا لغياب الأدلة والشواهد - واكتفوا بالتأسيس لأدب جزائري يبدأ من الفتح الإسلامي، وتحديدا مع قيام إمارة الرستميين (144 - 296هـ/ 776 - 911م)، وينتهي بالاحتلال الفرنسي لها سنة (1830هـ).

وعلى شرفة هذه المرحلة التاريخية - وفقا لما ورد في البرنامج الوزاري - تأتي هذه المحاضرات الموجهة لطلبة السنة الثانية ماستر تخصص الأدب القديم لتوضيح جانب مهم من تراثنا وثقافتنا الجزائرية القديمة، من خلال عرضنا لمجموعة من القضايا المرتبطة بهذه المادة، حيث تناولنا في بداية المحاضرات جانبا متعلقا بفتح الجزائر وانتشار اللغة العربية في حواضرها. وفيما يلي من محاضرات تناولنا الإمارات الجزائرية والأدب حيث كانت البداية بالرستمية، فالأغلبية، ثم الحمادية، وبعدها المرابطية والموحدية ثم

الحفصية والزيانية وأخيرا العثمانية، وقد خصصنا لكل إمارة محاضرة مستقلة.

وبعدها تتوالى المحاضرات المتبقية - وفق البرنامج الوزاري - في التعريف بأعلام الشعر والأدب الجزائري حيث خصصنا لكل عَلَم محاضرة مستقلة، والبداية بالشعراء الآتية أسماءهم: بكر بن حماد، الحسن بن علي الفكون، ابن خميس، وبعدها تأتي المحاضرات الخاصة بأعلام الكتاب وهم على التوالي: الغبريني وابن ميمون وأخيرا ابن حمادوش.

وإننا نأمل ونحن نعرض هذه المادة العلمية على طلبتنا الأعزاء أن نحقق أهدافا بيداغوجية نوجزها فيما يلي:

- التعرف على التاريخ الجزائري القديم.
- التعرف على أعلام الأدب الجزائري القديم.
- الاطلاع على الرصيد الأدبي الجزائري القديم بشقيه الشعري والنثري والوقوف على حجمه وخصوصياته الفنية.

وقد اعتمدت في جمع المادة المعرفية لهذه المطبوعة على مجموعة من المصادر والمراجع التي كانت سندا في إعدادها، فمن المصادر -رغم ندرتها وضحالة مادتها وتكررها في أكثر من مصدر -نذكر: المسالك والممالك للبكري، والأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية للباروني، وخريدة القصر وجريدة العصر للأصفهاني، وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني، وتعريف الخلف برجال السلف لمحمد الحفناوي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري وبغية الرواد في الملوك من بني عبد الواد لابن خلدون وغيرها من المصادر، أما المراجع فنذكر منها: المغرب العربي تاريخه وثقافته لرابح بونار، وتاريخ الأدب الجزائري لمحمد

الطمار، وغيرها من المصادر والمراجع التي استفدنا منها وستفيد الطلبة حال الاطلاع عليها.

وفي الأخير أتوجه بالشكر لكل من ساقهم القدر لتقويم وتقييم وتصويب هذا العمل، وأسأل اللّه أن يجازيهم عنا خير الجزاء، وأن يمتعهم بالصّحة والعافية.

واللّه الموفق

المحـــــــــاضرات

المحاضرة الأولى: فتح الجزائر وتعرّب سكانها

أولا. الجزائر قبل الإسلام.

تتفق أغلب الكتب التاريخية أنه منذ عهد سحيق ورد إفريقيا الشمالية جماعات وقبائل بشرية مختلفة شكلت النواة الأولى لهذا الوطن، ولما كانت الكتابة غير موجودة "حتى يدون ما على عهده من الحوادث والوقائع وسير العمران والحضارة، فالمؤرخ لا يستطيع أن يتحدث عن أهل هذا العصر حديثا مفصلا مستمدا من النقل، فكان هذا العصر جديرا أن يدعى ما قبل التاريخ"[1].

وخلال القرن الثلاثين قبل الميلاد اكتسح شمال إفريقيا -عن طريق مصر -قبائل كثيرة غادرت موطنها الأصلي جزيرة العرب ما بين الخليج والبحر الأحمر، ثم نزلوا إفريقيا الشمالية، ويتفق المؤرخون أن هذه القبائل -وكما يحلو للبعض تسميتها بالبربر - من أبناء أمازيغ بن كنعان بن حام بن نوح[2].

إن الحديث عن أصل البربر يعدّ من أكثر الأحاديث اضطرابا وأوسعها خلافا، فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كثيرا، وبحثوا فيه طويلا. فقال بعضهم:" أنهم من ولد إبراهيم عليه السلام (...) وقال آخرون: البربر يمنيون، وقالوا أوزاع من اليمن، وقال المسعودي: من غسان وغيرهم، تفرقوا عندما كان سيل العرم، وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين، وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول، فعبروا النيل وانتشروا في البلاد، وقيل أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبأ، وقيل إن البربر أخلاط من كنعان والعماليق، فلما قتل جالوت

---

[1] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. المؤسسة الوطنية للكتاب. (دم).(دط). (دت). ج1. ص 62.

[2] محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. (دط). (دت).ص 07.

تفرقوا في البلاد وغزى أفريقش المغرب ونقلهم من سواحل الشام وأسكنهم أفريقية وسماهم بربر. وقيل إن البربر من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام. وقيل: هم من ولد بربر بن كسلاجيم بن مسراييم بن حام، وقيل من العمالقة من بربر بن تملا بن مارب بن قاران بن عمر بن عملاق بن لاود بن إرم بن سام"[1].

ولم يقف تضارب واختلاف الإخباريون في حقيقة أصل الجنس البربري، بل تعداه ذلك أيضا إلى الاختلاف في سبب خروجهم من الشام، وقد وردت في ذلك روايات كثيرة أوردها ابن خلدون في تاريخه وفقا لما ذهب إليه المسعودي والطبري والسهلي وابن الكلبي حيث اعتبر بعضهم أن من آخر البربر في الشام هو داود، وهناك من يرى أنه يوشع بن النون، ومنهم من يرى أن أفريقش هو من أخرجهم، فيما ذهبت آراء أخرى أن خروجهم كان سبب بعض الملوك التبابعة[2].

لكن الذي لا خلاف فيه بين النسابة هو أن البربر فرقتان هما " البرانس والبتر، فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان، والبرانس بنو بربر سحو بن أبزج بن جمواح بن ويل بن شراط بن ناح بن دويم بن داح بن مازيغ بن كنعان بن حام"[3].

وقد أشار ابن خلدون في تاريخه أن شعوب البرانس تجمعهم سبعة قبائل هي: ازداجة ومصمودة وأوربة، وعجيسة وكتامة، وصنهاجة وأوريغة، وهناك من أضاف إليها: لمطة وهسكورة وكزولة، وهؤلاء بدورهم ينقسمون أيضا إلى عدة بطون. أما البتر فتجمعهم أربع قبائل هي: أداسة ونفوسة وضريسة،

---

[1] ابن خلدون: المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان. (دط). 2000. ج6. ص 120-123.

[2] نفسه. ص 122 وما بعدها.

[3] نفسه. ص 124.

وبنو لو الأكبر، وهؤلاء أيضا ينقسمون إلى عدة بطون[1]. وقد انبثق عن هذين الأصلين قبائل جمة وشعوب عدة، والناظر في تاريخ ابن خلدون يجد تفصيلا دقيقا لهذه القبائل.

أما عن الانتشار الجغرافي لهذه القبائل فنقول بأن الشمال الافريقي كان "وطنا للبربر وقبائلهم، وقد توزعت بعض القبائل في شرقه وبعضها الآخر في غربه ووسطه، وقد تعددت بطونه وكثرت شعوبه على امتداد أراضيه"[2].

أما إذا أردنا أن نحدد مجموع القبائل التي سكنت واستوطنت الوطن الجزائري، فإننا نصطدم بغياب تسمية للجزائر قديما أولا، وغياب حدودها الجغرافية الحالة ثانيا.

إن الدولة الجزائرية بالمفهوم الجديد -في نظر السعيد بخليلي - لم يكن لها أي وجود، ولما حاول المجتهدون حصر تخومها -على وجه التقريب لا الحصر - أفادوا أنها قامت على أساس ما يسمى بالمغرب الأوسط(الجزائر)، وامتدت إلى الشرق في بعض الوقت إلى حدود تونس والقيروان وصفاقس والجريد من أرض أفريقية، أما غربا فتوسعت لتصل إلى إمارة سجلماسة، بينما جنوبا فكان أقصى توسعا لها وادي ريغ وورقلة[3].

ولما كان الأمر على ما أشرنا إليه، فإن الحديث عن الجزائر في هذه الحقبة التاريخية قبل الفتح الإسلامي وبعده هو حديث عن المغرب الأوسط؛ تميزا له عن المغربين الأدنى والأقصى، نظرا للتداخل الحاصل بين أقطار شمال إفريقيا "بعضها في بعض قبل أن تصطنع لها حدود وأنظمة إدارية

[1] السابق. ج6. ص 117-118.

[2] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج1. ص 99-100.

[3] بخليلي السعيد: الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. أطروحة دكتوراه مخطوطة. جامعة بسكرة. 2016-2017. ص 01.

مستحدثة، فقد تبوتقت هذه الأخطار وانصهرت بعد الفتح [وقبله] -وحدة طبيعية - في جغرافيتها وسكانها "[1].

أما عن الانتشار الجغرافي لهذه القبائل البربرية التي استوطنت الوطن الجزائري، أو ما كان يسمى قديما بالمغرب الأوسط فنجد من قبائل البرانس: كتامة، عجيسة وأزداجة.

- **كتامة:** تعد كتامة من إحدى قبائل البرانس عن نسابة البربر، وهي من أكثر القبائل البربرية عددا وأشدهم قوة وأطولهم باعا في الملك، ولكتامة -فيما يذكره ابن خلدون - ثمانية عشر بطنا موزعة على طول الساحل البحري من بونة إلى بجاية، وتتقدم في داخل الوطن إلى حدود جبال الأوراس، ومن أبرز مدنها نذكر سطيف، قسنطينة، جيجل، القل وسكيكدة[2].
- **عجيسة:** لا تختلف قبيلة عجيسة عن كتامة في عظمتها وقوتها، فهي أيضا من قبائل البرانس ذات الانتشار والظهور، أما موطنهم فكان شرق صنهاجة وجنوب زواوة بجبال المسيلة، وقد انكسرت شوكتهم في حكم الحماديين، حيث زاحمهم الهلاليون وأزاحوهم عن موطنهم فتفرق جمعهم بين المغربين الأدنى والأقصى[3].
- **أزداجة:** تعد أزداجة أيضا من قبائل البرانس، كانت في أول أمرها وافرة العدد نافذة الشوكة، عزيزة الجانب، سجلت لأبنائها حروبا كثيرة، وهو ما قلص من أعدادها، أما تمركزهم فكان في الجهة الغربية في المغرب الأوسط وتحديدا بنواحي وهران[4].

---

[1] السابق. ص 01.

[2] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج1. ص 100-101.

[3] نفسه. ج1. ص 102.

[4] نفسه. ج1. ص 102.

- **صنهاجة**: تعد صنهاجة أيضا من قبائل البرانس، وقد أشار ابن خلدون أنها تنتهي إلى سبعين بطنا، موطنهم كان بالصحراء إلى السودان والمغرب الأقصى وبالمغرب الأوسط على ساحل البحر من عمالة الجزائر ووهران حاليا، ويتقدمون داخل الوطن إلى سهول الشلف، وينتهون غربا بمصب وادي الشلف في البحر، أما شرقا فيختلطون بالزواوة[1].
- **لمطة**: تعد لمطة قبيلة ذات شعوب كثيرة، وقد ذكر ابن خلدون أن منهم قبيلة بين تلمسان وأفريقية، حيث يقول: "فأما لمطة فأكثرهم مجاورون الملثمين من صنهاجة ولهم شعوب كثيرة، وأكثرهم ضواعن أهل وبر(...) وبقايا لمطة بالصحراء مع الملثمين، ومعظمهم قبيلة بين تلمسان وإفريقية"[2].
- **هواره**: تعد هواره إحدى بطون أوريغة، وذكر ابن خلدون من بين المواطن التي استوطنوها في المغرب الأوسط جبال الأوراس[3] مع قبائل كتامة.

أما القبائل التي استوطنت الوطن الجزائري فنجد: لوتة، ضريسة.

- **لواتة**: تعد لواتة من قبائل البتر، موطنهم الأول فيما يذكره ابن خلدون بنواحي برقة وطرابلس إلى قابس في الأراضي التونسية، وقد كان للواتة بطون استوطنت الجزائر من أمثال مزاتة، وصدراتة، ونفزاوة[4]، وفي هذا يقول ابن خلدون: " وكان منهم بجبل أوراس أمة عظيمة(..)

[1] السابق. ج1. ص 102.

[2] ابن خلدون: المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ج6. ص 270.

[3] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج1. ص 103.

[4] نفسه. ج1. ص 102-103

ولم يزالوا بأوراس لهذا العهد مع من به من قبائل هوارة وكتامة"[1]، وإلى جانب ذكر الأوراس كوطن لهم، يضيف بن خلدون توزيعا جغرافيا آخر لهذه القبيلة في الجزائر بالقول "وكان من لواتة أمة عظيمة بضواحي تيهرت"[2].

- **ضريسة:** تعد ضريسة من أكبر قبائل البتر انتشارا وتوسعا، ومن أشهر القبائل التي استوطنت الوطن الجزائري نجد: بنو فاتن، زواغة، زواوة، مكناسة، زناتة، وكل بطن من هذه البطون ينتسب بدوره إلى عدة أفخاذ[3].

فمن بني فاتن نجد: مطغرة، لماية، مطماطة، مديونة، كومية، مغيلة، ملزوزة، دونة، كشانة، صدينة، أما عن الانتشار الجغرافي لهذه القبائل فنجد: أن مطغرة تقطن ما بين فاس وتلمسان، أما لماية فكان موقعهم في جبل جزول ونواحي الونشريس، أما مركز مطماطة في الوطن الجزائري، فكان بتلول منداس عند جبل الونشريس وجبل كزول في نواحي تيارت، أما مديونة فكانت تقطن نواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد شرقا إلى وجدة غربا، يتقلبون بظواعنهم في ضواحية وجهاته، وأما كومية فكان موقعهم على الساحل من تلمسان، بينما تقطن مغيلة بالشاطي الأيمن من مصب نهر الشلف في البحر[4].

---

[1] ابن خلدون: المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ج6. ص 153.

[2] نفسه. ج6. ص 153.

[3] نفسه. ج6. ص 155.

[4] نفسه. ج6. ص 155.

- **زواغة**: تتفرع هذه القبيلة إلى ثلاث بطون متفرقة بين المغرب الأدنى والمغربي الأوسط والأقصى، ويذكر ابن خلدون أن موقعهم بالجزائر في جهات قسنطينة وجبال الشلف[1].
- **زواوة**: تعد زواوة قبيلة عظيمة وذات شعوب عدة بلغت عند النسابة أحد عشر بطنا، ومن النسابة من يعتبرها من بطون كتامة، أما موطنهم فيقع بنواحي بجاية ما بين موقع كتامة وصنهاجة، وجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعظم معاقلهم وأمنع حصونهم[2].
- **مكناسة**: تعد مكناسة أحد القبائل البربرية التي استوطنت الوطن الجزائري وبالتحديد غربه، حيث كان موطنهم على وادي ملوية من لدن وأعلاه سجلماسة إلى مصبه في البحر[3].
- **زناتة**: تعتبر زناتة واحدة في أشهر القبائل في شمال إفريقيا، إذ لم يقتصر حضورها في بلد واحد، بل كانت حاضرة في أربعة بلدان هي ليبيا (الإقليم الشمالي)، وتونس (المغرب الأدنى)، والجزائر (المغرب الأوسط)، والمغرب (المغرب الأقصى)؛ لكن أكثر حضورهم كان بالمغرب الأوسط، وهو ما أكده ابن خلدون، بقوله: "وموطنهم في سائر مواطن البربر بأفريقية والمغرب، فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى (...) ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي أفريقية، وبجبل أوراس بقايا منهم (...) والأكثر منهم بالمغرب الأوسط، حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم، فيقال: وطن زناتة"[4].

---

[1] السابق. ج6. ص 170.

[2] نفسه. ج6. ص 169.

[3] نفسه. ج6. ص 180.

[4] نفسه. ج7. ص 03.

ولما كانت شعوب هذه القبيلة أكثر من أن تحصى فإن أشهرها جراوة وموطنهم بجبل أوراس، وأوغمرت موطنهم جبل بني راشد (في غليزان حاليا) وأما ورجلة فموطنهم بالصحراء جنوب بسكرة (ورقلة حاليا)، ويفرن فموطنهم فيما بين تلمسان وتيهرت، وفي الحضنة وجنوب الأوراس مغراوة وموطنهم بالمغرب الأوسط في الشلف إلى تلمسان، ولهم مراكز أيضا في الحضنة وجنوب أوراس، وأما بنو واسين فلهم شعوب كثيرة وفصائل عديدة منها: بنو عبد الواد ملوك المغرب الأوسط وموطنهم تحديدا تلمسان[1].

وتجدر الإشارة في هذا السياق أن القبائل التي تبدو في أصلها جنس واحد قد خضعت في سيرتها التاريخية قبل الفتح لعدة هجرات وغزوات من قبل عدة أمم وشعوب لعل أبرزهم: الفينيقيون، والإغريق والرومان والوندال والبيزنطيون وآخرهم العرب الفاتحون. والأكيد أن " هناك هجرات أخرى وغزاة آخرون من الزنوج والفرس والهنود، إلا أنه يبدو أن تلك الهجرات والغزوات كانت عابرة ولم تكن على قدر كبير من الأهمية (...) فأهملت، ولم تنل حظا وافرا من التوثيق والتحليل من قبل المؤرخين"[2].

إن هذه الهجرات والغزوات التي أشرنا إليها كانت متفاوتة في تأثيرها الثقافي والاجتماعي على سكان المنطقة، حيث أثبتت الدراسات أن قبول السكان لهم وامتزاجهم بهم لم يكن واحدا، بل كان ذلك القبول مرتبطا بسلوك كل قادم، ويمكن تقسيم هؤلاء القادمين للمنطقة على أساس سلوك كل واحد إلى ثلاثة أقسام[3]:

---

[1] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج1. ص 107-109.

[2] محمد صالح ميلاد الأسود: العلاقات العروب أمازيغية عمقها وتداخلها ودورها في التجانس الاجتماعي. دار حميثرا. القاهرة. ط1. 2018. ص 56-57.

[3] نفسه. ص 57 وما بعدها.

- قسم سلك طريق السلام مثل الفينيقيين الذين انسابوا إلى المنطقة في هدوء وسكينة فكانت النتيجة تجانسا واختلاطا سريعا أثمر حضارة بناها الطرفان دامت مئات السنين.
- قسم آخر سلك طريق الغزو المسلح من أجل التوسع والسيطرة والاحتلال وهم الإغريق والرومان والوندال، الأمر الذي جعلهم في صراع وحروب مستمرة مع السكان دون أي اختلاط ولا امتزاج يذكر.
- قسم دخل لهداية سكانها إلى عبادة اللّه الواحد، فكانت النتيجة امتزاج وانصهار غير وجه ومستقبل المنطقة إلى يومنا وهم العرب المسلمون.

ثانيا. الجزائر العربية.

لقد كان أول اتصال للعرب المسلمين بشمال أفريقية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي بذل جهودا كبيرة في توسيع رقعة الدولة الإسلامية حيث " قهر جيوش الدولة البيزنطية بالشام ومصر، وجيوش الفرس بالعراق، وكان فتح الشام في خلافته ما بين (13 -15هـ)، وفتح مصر سنة (20هـ)، وفتح العراق ما بين (16 -21هـ). وكان عمر بن العاص فاتح مصر قد زحف إلى برقة ففتحها، وغزا طرابلس الغرب سنة 22هـ"[1]، ولما قتل عمر رضي اللّه عنه توقفت الفتوحات، وبتولى الخلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي اللّه عنه توجهت عنايته لفتح بلاد أفريقية فأمر عامله في مصر عبد اللّه بن أبي سرح أن يغزوها، فزحف إليها سنة 27هـ، حيث قابلتهم جنود الرومان والبربر بجهات سبيطلة من التراب التونسي، حيث وقعت معارك عنيفة، كان النصر فيها للعرب[2]، حيث استولى عبد اللّه بن أبي سرح على سبيطلة ودمرها تدميرا، وقتل ملكهم وبث جيوشه في تلك الأنحاء وصالح

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. دار الهدى. عين مليلة. الجزائرز ط3. (دت). ص 13.

[2] نفسه. ص 13.

أهل هذه البلاد على دفع الجزية، وعاد العرب إلى جزيرتهم دون أن يتخذوا قاعدة إسلامية في هذه البلاد كما لم يعهد لأحد القادة المسلمين حكم هذه الأقاليم"[1].

بعدها توقفت الدولة الإسلامية عن الفتوحات، بعد أن غرق العرب المسلمون"في غمرة الحروب الأهلية طيلة سنوات عديدة، شغلوا فيها عن الفتوحات الخارجية"[2].

وبعد أن استقر الوضع السياسي تحت خلافة معاوية بن أبي سفيان (40 -60هـ)، أذن لعقبة بن نافع الفهري فتح إفريقية من جديد، فأقبل إليها وحارب البربر وانتصر عليهم وأسس مدينة القيروان سنة 50هـ[3]، والحقيقة أن تأسيس عقبة لهذه المدينة هو ايذان بقيام ولاية أفريقية إسلامية بنفسها لها واليها، وإدارتها المستقلة عن مصر[4].

عزل عقبة بن نافع من طرف والي مصر مسلمة بن مخلد، الذي جمع له معاوية حكم مصر وأفريقية، وعهد إلى أبي المهاجر دينار بحكم أفريقية، استمرت ولاية أبي المهاجر دينار سبع سنين (55 -62هـ)، ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة رأى ضرورة إتمام فتح المغرب، فعزل أبا المهاجر دينار، وأعاد عقبة بن نافع للحكم[5]، قدم عقبة إلى أفريقية سنة 62هـ ونفسه تضطرم غضبا على أبي المهاجر دينار حيث قام باعتقاله هو وحليفه البربري "كسيلة"، وبعد ترتيب أمور ولايته خرج من القيروان فاتحا المغرب الأوسط

---

[1] عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس. مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، (دط). (دت). ص 16-17

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 13.

[3] نفسه. ص 13.

[4] الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب. تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب. دار الفرجاني للنشر والتوزيع. (دم). ط1. 1994. ص 10.

[5] عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس. ص 19.

والأقصى حيث "سار مخترقا قرى بلاد الجزائر ومدنه ومتحديا قوات الحامية بها، فعمد إلى باغاي من بلاد الزاب وقد تحصن بها الروم والبربر، فانتصر عليهم ثم توجه إلى لميس وهي"لمبيشة" البيزنطية وتازولت وهزم الروم بها ثم سار إلى أوربة وكانت أعظم مدن الزاب فحاربها وانتصر عليها، ثم زحف إلى "تيهرت" وفتحها بمعونة بن زهير بن قيس البلوي، وأتم زحفه إلى أن وصل إلى المحيط الأطلنطي"[1].

وأثناء عودة عقبة، مر بالجزائر، في قلة من جنده الذين تفرقوا في أنحاء المغرب، اعترض سبيله كسيلة الفار من أسره، بعد أن قوى أمره وعظم بأسه بمن انضم إليه من البربر والروم، ودارت رحى معركة حامية الوطيس بين كسيلة وعقبة انتهت باستشهاده في هذه المعركة في المنطقة المعروفة بـ "تاهودة" والمسماة اليوم بسيدي عقبة التابعة إداريا لبسكرة[2].

ولما تولى الخلافة عبد اللّه بن مروان، رأى ضرورة استعادة بلاد المغرب والقضاء على مقاومة البربر فعهد إلى زهير بن قيس البلوي بحكم أفريقية، وأمده بجيش ضخم هزم خلالها زهير البربر وقتل كسيلة واسترد القيروان[3].

لكن ما اعتقده العرب من أنهم قد أخمدوا ثورات البربر حتى ظهر لهم خطر أشد قوة وهو الخطر البيزنطي. فالبيزنطيون لم يستوعبوا احتلال العرب لجزء كبير لبلاد كانت تحت سيادتهم وسيطرتهم، حيث انتهزوا فرصة توغل المسلمين غربا فأمدهم قيصرهم بأسطول من صقلية نزلوا قرطاجنة ثم زحفوا على برقة في حشد كبير، فهزموا العرب شر هزيمة وقتلوا زهيرا وكثيرا من جنده[4].

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 14.

[2] عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس. ص 20.

[3] نفسه. ص 20

[4] نفسه. ص 21.

عندئذ أرسل عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان لإعادة الاستقرار لأفريقية والمغرب فوصل سنة 77هـ، حيث فتح قرطاجنة والأراضي التونسية ثم زحف إلى الأراضي الجزائرية، وحارب الكاهنة بالأوراس لكنها انتصرت عليه أولا، وطاردته حتى دخل طرابلس وتحصن بقصورها[1].

لكن هذا الانتصار الذي حققته لم يطل أمده، إذ سرعان ما دب الوهن والاضطراب في سياستها، وكان حسان في هذه الأثناء مطلعا على ما تتخبط فيه سياستها من انقسام بين جيوشها وأقوامها، فاستغل الفرصة وزحف إليها وقضى عليها وعلى سياستها حوالي 84هـ، وبموتها أذعن البربر للإدارة الإسلامية العربية، التي كانوا لا يعرفونها[2]، أو يعتقدون أنها تشبه الإدارة الرومانية في عتوها وجبروتها، حيث اتصل العرب بالبربر واختبروا أخلاقهم فأدركوا أنهم لا يشبهون الرومان في سلوكهم ومعاملاتهم، حيث كانوا يعدون كل من أسلم أخا لهم، في الحقوق والواجبات، حينها أقبل البربر يعتنقون الإسلام، وشرعوا يتعلمون العربية، وبهذه السياسة نجح الفاتحون في إخضاع الجزائر وبقية الأقطار المغاربية تحت سلطتهم المطلقة[3].

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 14.

[2] نفسه. ص 15

[3] نفسه. ص 15.

المحاضرة الثانية: انتشار اللغة العربية، والحواضر الأدبية في الجزائر.

أولا. انتشار الإسلام:

يذهب محمد الطمّار إلى أن المغرب الأوسط «الجزائر» قبل الفتح الإسلامي تنازعته في بنيته الدينية ثلاث ديانات وهي: الوثنية والنصرانية واليهودية، فالبربر -والقول له -كانوا " وثنيين في معظمهم، يقدسون الكواكب، ويعبدون الحيوانات، ويعظمون الكهوف والمغارات (...) وكانوا يقربون لآلهتهم القرابين عنهم فتقضي حوائجهم، وقد تسربت في وقت لاحق الديانتان اليهودية والنصرانية، فأعتنق بعضهم هذه أو تلك"[1]، ولما ظهر الإسلام، وأخذ في الانتشار بين القبائل البربرية اعتنقه الجزائريون، وتجمع الروايات على أن أول من أشهر إسلامه هو « صولات بن وزمار » الزناتي التلمساني الذي اتصل بالخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه (22 - 35هـ) حيث أسلم على يده وأعتز بولايته[2]، ثم عاد إلى الجزائر داعيا ومبشرا بالدين الإسلامي.

وبتولي الخلافة عقبة بن نافع حكم أفريقية اعتنق الكثير من البربر الإسلام على يده، ولولا خطأ عقبة بن نافع مع الزعيم البربري كسيلة الذي تسبب في قتله وتوقف الفتح الإسلامي من بعد، لانتشر الإسلام وعم جميع القبائل البربرية[3].

---

[1] محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 08.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 18.

[3] نفسه. ص18.

وفي عهد حسن بن النعمان (77 -88هـ) توطد الفتح " ودخل عدد كبير من البربر في الإسلام، على الرغم في أن هذه الفترة كانت فترة حروب الفتح والمعارك الطاحنة بين البربر والعرب الفاتحين"[1].

ولما جاء موسى بن نصير (88 -95هـ) واصل فتح الأقاصى، وولى عليها طارق بن زياد، وأنزل معه آلافا من العرب والبربر وأمر العرب أن يعلموا إخوانهم البربر القرآن وفقه الدين[2].

ولعل ما نلحظه على الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي عموما وللجزائر على وجه الخصوص، أنه قد استغرق فترة زمنية طويلة تجاوزت الخمسين سنة؛ وهي فترة طويلة إذا ما قورنت بالفترة التي استغرقها فتح بلاد الشام والعراق ومصر والتي لم تتجاوز العشر سنوات[3].

ويرجع عبد المالك مرتاض سبب طول هذه المدة التي استغرقها القادة الفاتحون في نشر الإسلام على الربوع الجزائرية إلى تدخل الرومان في وجه العرب حيث يقول: " فلا ينبغي أن يتهم البربر بأنهم ارتدوا مرارا عديدة لغلظ في أكبادهم، ولا لضعف في إيمانهم، بل يجب أن يربط ذلك بالوجود الروماني، (...) في الجزائر على ذلك العهد، فالرومان هم الذين كانوا يغرونهم بالمقاومة طورا والارتداد في الديانة الإسلامية طورا آخر، فلما يئس الرومان في تدبيرهم، أشرقت أنوار الإسلام إلى الأبد على الربوع الجزائرية"[4].

---

[1] الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب. ص21.

[2] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص37.

[3] فاتح الزين شيخ إدريس: الفتوحات الإسلامية في المغرب وأثرها في انتشار الدعوة الإسلامية. المؤتمر الدولي الإسلامي في إفريقيا. الكتاب السابع. 27 -26 نوفمبر 2006 ص218.

[4] عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم- دراسة في الجذور. دار هومة. ص29.

ثانيا. انتشار اللغة العربية:

لا يختلف اثنان على أن انتشار اللغة العربية في الجزائر منذ الفتح الإسلامي مكن له انتشار هذا الدين، لأنه ما نزل هؤلاء العرب إقليما من الأقاليم وفتحوه إلا وأسسوا فيه مسجدا لنشر الدعوة ولتحفيظ أهله القرآن والحديث؛ وهو ما سمح للغة العربية في الانتشار جنبا إلى جنب من اللهجات المحلية للسكان الأصليين، الذين اندمجوا مع العرب بفضل هذه اللغة التي صارت تجمعهم[1].

لقد كان للولاة والأمراء الذين تداولوا على حكم بلاد المغرب الفضل الكبير في نشر الدين الإسلامي إلى جانب اللغة العربية، ويعد الفضل كل الفضل في فتح إقليم المغرب الأوسط «الجزائر» لإسماعيل بن أبي المهاجر دينار (ت132هـ)، الذي ولاه عمر بن عبد العزيز بعد أن تولى خلافة الدولة الأموية، وتجمع المصادر والمعلومات على أن اسماعيل بن أبي المهاجر دينار " كان خير أمير وخير والٍ، ومازال على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم منهم عددا عظيم دولة عمر بن عبد العزيز"[2].

وتذكر كتب الأخبار أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أرسل مع اسماعيل بن عبيد الله أبي المهاجر بعثة علمية لأجل تعليم البربر وأولادهم أصول وقواعد تعاليم الدين الجديد، وقد ضمت هذه البعثة عشرة من التابعين[3].

---

[1] جميلة راجاح: اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. أطروحة دكتوراه. جامعة تيزي وزو. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية وآدابها. 2015. ص83.

[2] الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب. ص22.

[3] نفسه: ص 22-21.

فمن الطبيعي، والحال هذه، أن يستعرب الجزائريون "بعد إسلامهم، ويتعلموا لغة التنزيل الذي هو دستور الإسلام وأقنومه، والمصدر الأول لجميع أحكامه وتعاليمه، فإنما بالعربية نفهم أصوله وفروعه "[1].

لقد أدرك ولاة العرب أن الأسلوب الوحيد لجعل البربر يعتنقون الإسلام ويتقبلون وجود العنصر العربي بينهم هو توضيح حقيقة ما جاؤوا لأجله، " فرتبوا لهم الفقهاء والقراء يلقونهم العربية ويبصرونهم بالدين، فلما اكتنهوا كنهه، وعرفوا حقيقته، وتمرسوا بتعاليمه السامية وآدابه العالية، أصبحوا أكبر دعاته وأحمى أنصاره، فجاهدوا في سبيله الجهاد الأكبر، وبذلوا النفس والنفيس لإبلاغ دعوته إلى أقاصي البلاد"[2].

وعلى هذا النحو سارت العربية في الانتشار بسير الإسلام، مترسمة خطاه متبعة آثاره في جل الدويلات والإمارات الحاكمة للجزائر، وتعد أول مبادرة منهجية لاستعمال اللغة العربية في أول الإمارات الجزائرية القديمة ما قام به حكام الدولة الرستمية -وما كان تابعا لها من أقاليم -حيث جعلوا " من اللغة العربية لغة رسمية واعتمدوها إلى جانب لغتهم البربرية في حلقات الدين بمختلف الكتاتيب والزوايا والمساجد لتسهيل فهم الدين الإسلامي الذي أصبح يدين به أغلب السكان"[3].

واستمر الوضع نفسه مع الجهة الشرقية من التراب الجزائري التي كانت تخضع لحكم الأغالبة، حيث يذكر أن حكام الأغالبة اهتموا اهتماما خاصا بتعليم العربية للأهالي، وعملوا على نشرها في مختلف المناطق التي حلوا بها بواسطة فتح المساجد والكتاتيب والرباطات، وفي هذا يقول

[1] لعربي بلال: انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي من الفتح إلى استقرار بني هلال. أطروحة دكتوراه. المدرسة العليا للأساتذة. بوزريعة. الجزائر. 2017 – 2016. ص 98.

[2] نفسه. ص 98.

[3] جميلة راجاح: اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. ص84.

حسن حسني عبد الوهاب في تعليقه على دور الأغالبة في نشر اللغة العربية بقوله: "إنهم عندما أناخوا بمعسكرهم وخطوا قيروانهم، أنشأوا الدور والمساجد، ثم التفتوا إلى تعليم صبيانهم، فاتخذوا لهم محلاً –كتابا - بسيطة البناء يجتمعون فيه لقراءة كتاب الله"[1]، وهكذا، شيئا فشيئا، عرفت العربية انتشارا واسعا في آخر أيام الأغالبة وبخاصة مع وجود المراكز الثقافية التي يتم فيها تعليم هذه اللغة[2].

أما في فترة حكم الحماديين فكان الأمر أفضل مما كان عليه سابقا، حيث انتشرت العربية انتشارا واسعا، وقد مكن لهذا الانتشار الهجرات التي قامت بها قبائل بني هلال وبني سليم، ويستمر الوضع نفسه في عهد المرابطين إذ حظيت اللغة العربية بعناية خاصة، بفضل إخلاص حكام المرابطين " للإسلام والعربية، حتى أنهم جعلوها لغة رسمية طيلة أيام حكمهم فاعتبروها لغة السياسة والدين والإدارة والأدب"[3]، والأمر ذاته كان مع أمراء الموحدية، وبالأخص ابن تومرت الذي بذل جهدا مهما في تركيز دعائم دولته على أساس ديني عربي[4].

وإذا كان لحكام المرابطين والموحدين دور كبير في نشر اللغة العربية فكذلك الأمر مع حكام الحفصية والزيانية وما قدموه من جهود مباركة في نشر اللغة العربية والدين الإسلامي، حيث أكثروا من بناء المساجد وإنشاء المدارس وإقامة الزوايا، لأجل توسيع وتعميم انتشار الدين واللغة العربية على حد سواء.

---

[1] الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب. ص25.

[2] جميلة راجاح: اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. ص 85.

[3] نفسه: ص85.

[4] نفسه: ص85.

وفي هذا السياق، نشير، إلى أن انتشار اللغة العربية في الإمارات الجزائرية لا يعني تخلي السكان عن اللغة الأصلية؛ بل هناك من السكان الأصليين من تمسكوا بلغتهم في اتصالاتهم ومعاملاتهم الخاصة، كما هو الحال في منطقه القبائل ومرتفعات الأوراس، لكن هذا الاستخدام المحدود لم يرْقَ ليكون استخداما رسميا بل كانت " وسيلة للتواصل لتحقيق متطلبات السكان المحدودة"[1].

إن تعريب سكان الجزائر " كان نتيجة من نتائج اندماج العنصر العربي بالبربري وما صاحبه من احتكاك قوي بين العربية والبربرية في الفتوحات، حيث أصبحت اللغة العربية لغة الدين والسياسة والتخاطب اليومي والمكاتبات الرسمية وغير الرسمية إلى جانب هذا الاستخدام العربي بقيت لهجات محلية لدى السكان الأصليين منتشرة في مناطق مختلفة من الوطن الجزائري"[2].

ثالثا: الحواضر الأدبية في الجزائر.

استطاع الإسلام أن يوحد الأقاليم الجزائرية ضمن لغة واحدة وعقيدة واحدة، وبفضل هذه الوحدة انكب الجزائريون على البناء والإبداع الحضاري في أوسع مجالاتها، وقد قامت في هذه الأقاليم مراكز حضارية وحواضر ثقافية هامة لا تقل رقيا عن مراكز الشرق الإسلامي[3].

إن الحديث عن الحواضر الثقافية التي تضمها الأقاليم الجزائرية لا يعني التعرض لجميع هذه الحواضر، وإنما نكتفي بذكر أهم الحواضر التي

---

[1] السابق. ص88.

[2] نفسه. ص89.

[3] يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسه. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط1. 1995. ص10- 11.

أسهمت بشكل فعال في نشر العلم والثقافة، ومن بين هذه الحواضر نذكر: حاضرة تيهرت، بجاية، تلمسان، طبنة[1].

إن هذه الحواضر الجزائرية وغيرها استطاعت " رفع لواء الثقافة العربية والإسلامية، حيث قصدها العلماء من شرق العالم الإسلامي وغربه، إذ كان لها الدور الفعال في نقل التراث والحفاظ عليه ونشره"[2]، وفي ما يلي بطاقة تعريفية موجزة لهذه الحواضر:

1 - **حاضره تيهرت.**

تأسست مدينة تيهرت سنة 144هـ على يد عبد الرحمن بن رستم الفارس الإباضي(ت 168هـ)، بعد أن أقبل إليه أنصاره من كل مكان وبويع بالإمامة، أراد أن يتخذ لنفسه مكانا استراتيجيا يباشر منه مهام الحكم، فوقع اختياره على موضع تيهرت الذي أنشأ به مقر دولته الرستمية[3]، وفي هذا السياق يقول مبارك الميلي " ولما كثر جمعه خرج من حصن الجبال إلى حصن الرجال، وفكر هو وأصحابه في تأسيس مدينه تكون رمزا لاستقلالهم وحصنا يمتنعون به على من ناواهم، فأنشأوا مدينة تيهرت سنة 144هـ، وبذلك تأسست الدولة الرستمية وحافظت على استقلالها زمنا طويلا، لم يكن إباضيتها كغالب الخوارج همهم الثورة، بل كانوا ككخوارج العرب همهم تنظيم دولة على مبادئهم"[4]، وقد كانت هذه الدولة - يضيف مبارك

[1] جميلة راجاح: اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. ص49.

[2] نفسه: ص49.

[3] ينظر جميلة راجاح: اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. ص 49. و رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 27.

[4] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص64-65.

الميلي - إسلامية في قضائها، عربية في معارفها، بربرية في عصبيتها، فارسية في إدارتها[1].

هذا، ولم تكن مدينه تيهرت عاصمة الرستميين السياسية فقط، بل كانت عاصمتهم الثقافية والحضارية، ويعد المسجد الجامع ومكتبة المعصومة من أكبر المؤسسات الثقافية والعلمية في تيهرت، وهذان المعلمان الثقافيان جسدا جهود أئمة الدولة الرستمية، وحققا مساعيهم في تحويل حاضرة دولتهم إلى مركز إشعاعي ينافس المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي، خاصة وأن الأئمة الرستميين قاموا بتزويد مكتبتهم بأمهات المصنفات في شتى صنوف العلم والأدب[2]. بل إن هذا الاهتمام المتزايد من قبل الخوارج بالتأليف جعلهم -والقول للشماخي -يستخدمون اللغة البربرية للتأليف والكتابة، كما هو الحال عند أبي سهل الفارسي الذي ألف " اثني عشر كتابا وعظا وتذكيرا وتخويفا نظما بلغة البربر وكان يحسنها إذ هو ترجمان الإمام أفلح والإمام يوسف...."[3].

هذا، ولم يقتصر الاهتمام بالعلم على الأمراء فقط بل كان عامة الناس أيضا، من أهل القبائل يشجعون الطلبة على تلقي العلم ويبذلون الجهد في إعانتهم بالهدايا والعطايا واللطف، ولما كان الأمر على ما أشرنا فلا غرابة أن تزدهر هذه الحاضرة ونعتت بالعراق الصغير أو بعراق المغرب[4].

---

[1] السابق. ص65.

[2] فاطمة مطهري: مدينة تيهرت االرستمية. مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة تلمسان. 2009-2010. ص 231.

[3] الشماخي: كتاب السير. تحقيق: أحمد بن مسعود السيابي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. (دط). 1987. ج1. ص 244.

[4] الطاهر الطويل: المدينة الاسلامية ودورها الحضاري ببلاد المغرب الأوسط حتى القرن الثالث الهجري، مدينة تيهرت نموذجا. ص 11-13. ينظر الموقع الالكتروني: https://dspace.univ-adrar.dz/jspui/handle/123456789/3472

2 - حاضرة القلعة

تأسست هذه المدينة سنة 398هـ على يد حماد بن بلكين في مكان يدعى قلعة أبي طويل جنوب مدينه برج بوعريريج، حيث شيد حماد بها القصور واستكثر المساجد، فلم تفتأ أن ازدهر عمرانها وكثر سكانها من التجار وأرباب الصنائع وأهل العلم، يصفها البكري في كتاب المسالك والممالك، بقوله: " وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة، فلما كان خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهلها أفريقية، وهي اليوم مقصد التجار وبها تحلّ الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة"[1].

هذا، وتذكر كتب التراجم والسير أن حاضرة القلعة عرفت ازدهارا ثقافيا كبيرا بفضل اهتمام القادة الحماديين بهذا الجانب، مما جعلها قبلة للعلماء والأدباء والطلبة، بل إن عديداً من هؤلاء الوافدين فضل البقاء في بلاد الحماديين، بعد أن فتح لهم الأمراء الباب واسعا وقربوهم إلى مجالسهم وأكثروا عليهم العطايا " ولما جاء الهلاليون استولوا على بسائطها أيام الناصر، فأسس فرارا منهم مدينة بجاية"[2].

3 -حاضرة بجاية

بجاية المدينة التاريخية الضاربة بجذورها لعهد القرطاجيين والفينيقيين لم يكن تأسيسها عاصمة للحماديين مجرد صدفة، بقدر ما كانت هروبا بإرث الحماديين فـ " بعد واقعة سبيبة سنة 457هـ استولى العرب على ما حول

[1] البكري: المسالك والممالك. دار الغرب الإسلامي. (دم). (دط). 1992. ج2. ص710.

[2] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص275.

القلعة ووضعوا أيديهم على طرقها، فرأى الناصر عاصمته مهددة بالخطر، ففكر في إنشاء عاصمة بعيدة عنهم "[1].

شرع الناصر بن علناس في تأسيس بجاية سنة 460هـ على مقربة من مدينة صلداي الفينيقية، على سفح جبل يحفظها من غارات الهلاليين[2].

تبوأت بجاية مكانة مرموقة بين الحواضر العلمية في المغرب والمشرق، حيث تميز تاريخ هذه المدينة السياسي والعلمي والعمراني في ظل حكم الحماديين بالنشاط والتقدم، فأضحت مركزا إشعاعيا استهوى مشاهير العلماء والفقهاء والأدباء الذين رحلوا إليها واستقروا بها[3]، دامت بجاية - والقول لرابح بونار -" في حضارتها وازدهارها إلى أن احتلها الأسبان سنة 915هـ فتدهورت أحوالها وتراجع عمرانها"[4].

4 - حاضرة تلمسان

تعد تلمسان من المراكز الثقافية التي شهدتها الجزائر قديما، ويذكر المقري أن شهرة مدينة تلمسان بدأت في البزوغ مع قيام دولة المرابطين، حتى صار المؤرخون يطلقون عليها لقب العاصمة الثانية للمرابطين بعد مراكش، إذ عدت تلمسان في ذلك الزمن قطبا جامعا، ومنارة علمية تحط بها رحال العلماء للقيام بالمناظرات العلمية والحلقات الأدبية[5].

هذا، ولم تفقد تلمسان بريقها العلمي وإشعاعها الثقافي بعد سقوط المرابطين وقيام دولة الموحدين، بل أبقى عليها أمراء الموحدين مقرا لحكمهم،

---

[1] السابق. ص275.

[2] نفسه. ص275- 276.

[3] جميلة راجاح: اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. ص50.

[4] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص198.

[5] عبد القادر بن مسعود: تلمسان الجزائرية قرطبة أفريقيا التي يخشاها العثمانيون. ينظر الموقع الإلكتروني:

https://www.sasapost.com/city-of-tlemcen/

ومركز الإشعاع للعلم والمعرفة، بفضل المجالس العلمية والمناظرات الفكرية التي كانت تدور بين العلماء والأدباء[1].

وبقيام الدولة الزيانية شهدت حاضرة تلمسان ازدهار علميا كبيرا لم تحظ به من قبل حيث أضحت معقل إشعاع يضم في جانبيه أكبر المدارس العلمية، التشفينية واليعقوبية والخلدونية التي جذبت إليها العلماء والأدباء وطلاب العلم من كل حدب وصوب، كما ساعد لجوء المورسكيين من الأندلس، بعد بداية حروب الاسترداد التي شرع فيها الإسبان بالأندلس في ازدهار الحياة العلمية والحضارية بعد أن توجه قسم هائل من هؤلاء الوافدين إلى تلمسان باعتبارها إحدى أبرز حواضر العلم في ذلك الوقت[2].

5 - حاضر طبنة

تعدّ طبنة أحد أهم المدن التاريخية في بلاد الجزائر خلال العصر القديم، أهلها موقعها الجغرافي الحصين في أن تدون فصلاً من فصول التاريخ الجزائر قديما، تقع مدينة طبنة اليوم على بعد 4 كلم جنوب شرق مدينة بريكة على الطريق الرابط بينها وبين بسكرة، أما الجغرافيون القدماء فيضعون مدينة طبنة ضمن حدود إقليم الزاب[3]، فهذا اليعقوبي في وصفها يقول: " وطبنة مدينة الزاب العظمى ، وهي في وسط الزاب"[4].

وفي هذا السياق نشير إلى أن إقليم الزاب اتسع في القرون الهجرية الأولى ليضم سهول الحضنة ومدنها: المسيلة ومقرة وطبنة. وفي القرن الثامن الهجري ضاق ليدل على منطقة بسكرة حاليا، وهو ما يستشف من قول

---

[1] جميلة راجاح: اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. ص51.

[2] عبد القادر بن مسعود: تلمسان الجزائرية قرطبة أفريقيا التي يخشاها العثمانيون.

[3] جعيل أسامة الطيب: طبنة حاضرة اقليم الزاب والمغرب عبر العصور. مجلة قبس للدراسات الاجتماعية والانسانية. المجلد 2. العدد 2. ديسمبر 2018. ص387.

[4] اليعقوبي: معجم البلدان. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1422هـ. ج1. ص190.

البشير الابراهيمي: " أما الزاب اليوم وهو يطلق على قطعة صغيرة في سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء، وعاصمة الزاب الإدارية والتجارية في يومنا هذا هي مدينة بسكرة"[1].

تعد مدينة طبنة من ألمع المراكز الثقافية والحضارية في منطقة الزّاب، وقد عدت على مدار حكم الأغالبة والفاطميين والحماديين أبرز " الحواضر الثقافية التي لعبت دورا لا يقل عظمة ولا أهمية عما قدمته الحواضر الأخرى بالمغرب الأوسط، حيث أسهمت في نشر الثقافة العربية والاسلامية بالمنطقة الصحراوية المتاخمة لها"[2].

[1] البشير الابراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي. تقديم وجمع أحمد طالب الابراهيمي. دار الغرب الإسلامي. ط1. 1997. ج4. 1997.

[2] جميلة راجاح: اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. ص56.

المحاضرة الثالثة: الأدب في عهد الرستميين (144 -296هـ)

أولا: في نشأة الإمارة وسقوطها

منذ مطلع القرن الثاني للهجرة والمغربان الأوسط والأدنى يسعيان إلى الاستقلال عن ولاة القيروان، إيمانا منهما بالحرية واقتناعا بدعوة الخوارج التي كانت تنادي بالديمقراطية، وكان الخوارج بالمشرق على علم بهذا الميل بالمغرب، فتسربوا إليه ليحاربوا الأمويين فيه، بعد أن عجزوا على ذلك في المشرق، وجاءوا إلى المغرب وانبثوا في مختلف جهاته، وقاموا بحروب عنيفة كان البربر أول الداعمين لها عونا وإمدادا، ولم يكد ينته النصف الأول من القرن الهجري الثاني حتى أسسوا إمارة مستقلة بالجزائر عرفت بإمارة الرستميين[1].

تنسب هذه الإمارة الرستمية إلى عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي، الذي استخلفه أبو الخطاب المعافري على القيروان بعد أن قرر أن يذهب إلى طرابلس ليقف في وجه الحملات التي اعتزم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إرسالها إلى بلاد المغرب لإخماد ثورات الخوارج، فزحف محمد بن الأشعث -والي مصر -سنة(142هـ) بأمر من الخليفة على المغرب الثائر، والتقى بأبي الخطاب وتمكن من قتله وتشتيت قواه، واستعاد القيروان من الخوارج ولاحق صاحبها، ابن رستم، الذي فرّ ملتحقا ببعض القبائل الإباضية النازلة بجبل سوفجج* على مقربة من تيهرت[2].

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص26.

* تعد هذه المنطقة من أمنع المناطق الجبلية في المغرب الأوسط وحول هذا الجبل كانت مواطن لماية ولواته وهوارة وهي قبائل كانت صلتها قوية بالمذهب الاباضي. ينظر عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي. دار الثقافة للنشر. القاهرة. ط1. 2006. ص 324.

[2] ينظر: رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص27، ومحمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. ص27.

وما كاد يسمع الإباضيون بهذا الخبر حتى أقبلوا إليه وقويّ جانبه، ففكر في تأسيس مدينة تكون دليل استقلالهم، فكانت تيهرت قاعدة إمارتهم ودليل دولتهم، حيث تم تشييدها سنة (144هـ)[1].

يحد إمارة الرستميين الأغالبة شرقا، والأدارسة شمالا وغربا، أما جنوبا فيتسع المجال إلى ورقلة، ويمتد فيها شريط على وادي ريغ إلى طرابلس وجبال نفوسة[2].

يلقب أمراء هذه الدولة باسم الإمام، وبالرغم من أن الإمامة عند الخوارج لا تنحصر في أسرة معينة، فإن " إمامة تيهرت انحصرت في بني رستم، ولعل سبب ذلك المنافسة البربرية (...) (ذلك أن) منافسة البربر بعضهم لبعض أشد من منافستهم لأجنبي عنهم، فلو انتقلت الإمامة إلى قبيلة منهم لرامت الاستئثار بها ونازعتها بقية القبائل"[3].

نجح عبد الرحمان بن رستم في توطيد دعائم دولته خلال الفترة التي حكمها (144 -168هـ)، وقد وصفه ابن الصغير في أخباره أنه "لما ولي عبد الرحمان بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر ميزره، وأحسن سيرته، وجلس في مسجده للأرملة والضعيف، ولا يخاف في اللّه لومة لائم (...) فلم تزل أموره كذلك، وعلى ذلك، والكلمة واحدة والدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عليه ولا طاعن يطعن عليه"[4]، بعد وفاته خلفه ابنه عبد الوهاب (168 -188هـ) وقد ذكر ابن الصغير في أخباره، أنه لما مات عبد الرحمان " قامت الإباضية فعقدت الإمامة لابنه عبد الوهاب، فكان ملكا ضخما وسلطانا قاهرا،

---

[1] محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. ص28.

[2] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. تقديم وتصحيح محمد الميلي. المؤسسة الوطنية للكتاب.(دط)(دت). ج2. ص65.

[3] نفسه. ج2. ص71.

[4] ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين. تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحار. دار الغرب الإسلامي. (دط). (دت). ص28-36.

وعلى يديه افترقت الإباضية، وافترق كبراؤهم، وتسمى قوم بالنكار، وتسمى منهم قوم بالوهابية"[1]، لكنه استطاع إخماد الفتن بفضل حنكته وسياسته.

بعد وفاته بويع بالإمامة ابنه أفلح بن عبد الوهاب (188 -238 هـ)، وقد ذكر ابن الصغير أنه "عمر في إمارته ما لم يعمر أحد ممن قبله (...) وعمرت معه الدنيا، وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار (...) وتنافس الناس في البنيان"[2].

وبوفاته بويع بالإمامة ابنه أبو بكر بن أفلح (238 -241 هـ)، ولما كان ميله للأدب لا للسياسة فقد ترك أمرها لأخيه أبي اليقظان (241 - 281 هـ)، حيث ذكر ابن الصغير إنه كان زاهدًا ورعا ناسكًا، افتتنت به نَفُوسَة حتى أنها أقامته في دينها -تحليلا وتحريما -مثل ما أقامت النصارى عيسى بن مريم[3].

بويع بالإمامة من بعده أبو حاتم يوسف (281 -294 هـ)، لكن اضطربت عليه الأمة بعد مبايعته، فخرج من المدينة ثم عاد إليها وفي عودته تآمر عليه بعض المقربين فقتلوه سنة 294 هـ، وبعد مقتله بويع أخوه اليقضان بن أبي اليقضان (294 -296هـ)، لكنه لم يتمتع بالملك طويلا، حيث كانت فترة حكمه غير مستقرة إلى أن قتله الشيعة مع أفراد أسرته، وبمقتله انتهى حكم الرستميين[4].

---

[1] السابق. ص37.

[2] نفسه. ص 53

[3] نفسه. ص81-85

[4] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص73- 75.

ثانيا: في أدب الإمارة الرستمية

بذل الأئمة الرستميين -كما سبق وأشرنا - جهودا كبيرة في تشجيع الحركة الثقافية، حتى أصبحت تيهرت حاضرة ثقافية تضاهي بغداد والقيروان وقرطبة، وقد " أعان على ذلك جملة عوامل منها:

1 - تشجيع أئمة تيهرت للثقافة واعتناؤهم بها.

2 - جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة.

3 - شيوع المناظرات والمذاهب العقائدية بين الفرق المختلفة؛ وهو عامل هام في تلقيح الأفكار وخدمة اللغة والآداب"[1].

لكن بالرغم من هذا النشاط الثقافي الذي لم تعرفه الجزائر من قبل "لم ينبغ (...) إلاّ جماعة قليلة من الأدباء، ما بين خطباء وكتاب ومؤلفين ومترسلين وشعراء (...) ولكنها على قلتها وضآلة ما تحدر إلينا من إنتاجها تشهد بوجود عبقرية مدخورة في هذه البيئة من الوطن العربي"[2].

1 -**الشعر**

إنّ المتأمل في شعر هذه المرحلة من تاريخ الجزائر قديما يجده لا يختلف من حيث الصيانة عما وجد عند المشارقة، وفي هذا يقول عبد المالك مرتاض "وإن ما بقي من الشعر الجزائري القديم (...) يدل على شاعرية لا يمكن أن تنكر، ولكنها تفتقر إلى جو مخصب يبلورها، ويفتق مكانها، ويفجر طواياها، وربما اتسم هذا الشعر بشيء من الإبداعية العالية التي كانت تتخذ لها، أبدا، المشرق العربي قدوة تقتدي بها، ومنوالا تنسج عليه"[3].

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص63- 64.

[2] نفسه. ص87.

[3] عبد المالك مرتاض. الأدب الجزائري القديم. ص 59.

وما تجدر الإشارة إليه، في هذا السياق، أن هذا الشعر الجزائري الذي قيل طول عهد الرستميين قد ضاع معظمه حين أحرق الشيعة مكتبة تيهرت[1]، وما وصلنا منه إلاّ جزء يسير حسب ما ترويه كتب التراجم والسير، ومن أبرز هؤلاء الشعراء الذين وصلتنا بعض قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية نذكر:

- **الإمام أفلح بن عبد الوهاب (ت238هـ)**

يعد أحد أئمة الدولة الرستمية والعلماء العارفين صاحب أدب جم، واطلاع واسع، وشعر رقيق، ومما وصلنا من شعره منظومته المشهورة بين تلاميذه في مدح العلم، وبيان فضله، ومزاياه[2]:

العلم أبقى لأهل الـــــــــعلم آثاراً ... وليلهم بشموس العلم قد نـــــــارا
يحيى به ذكرهم طول الزمان وقد ... يريك أشخاصهم رَوحا وإبـــكاراً
حيّ وإن مـــــــات ذو علم وذو وَرَعٍ ... إن كان في منهج الأبـــرار ما مارا
وذو حياة على جهل ومنقـــــــصةٍ ... ولا يبالي أخـــــــيرا نال أم عارا
حياته عدم في طول مـــــــــدته ... كميت قد ثوى في الرمس اعصاراً
للّه عصبة أهل العلم أن لهـــــــم ... في كـــــــل أفق من الآفاق أنوارا

هذه القصيدة الطويلة -التي تزيد أبياتها عن الأربعين بيتا -تدل دلالة واضحة على أن صاحبها يمتلك مقدرة شعرية جيدة، بالرغم من المآخذ المسجلة عليها كونها " من نوع النظم التعليمي، وفيها تعابير فقهية، وضعف أسلوب، ولكنها مع ذلك تعد ثمرة جيدة، ونتاجًا مبكراً لإنتاج عربي في جو بربري مستحكم العجمة بعيدا عن ملكة البيان العربي"[3].

- **أحمد بن الفتح المعروف بابن الخزاز التاهرتي**(حيّ خلال القرن الهجري الثالث)

---

[1] السابق. ص58.

[2] سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية. مراجعة: محمد علي الصليبي. دار الحكمة. لندن. ط1. 2005. ص240 وما بعدها.

[3] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص81.

أحمد بن فتح، المعروف بابن الخزاز التاهرتي: أديب، شاعر، من أهل تاهرت، عاش في تيهرت خلال القرن الهجري الثالث، ولم تذكر كتب الأخبار شيئا عن حياته سوى مقطوعتان الأولى في ذكر جمال نساء البصرة، لمّا تغزل بهن في سياق مدحه لإبراهيم بن القاسم[1]، بقوله[2]:

ما حاز كل الحسن إلاّ قينة بصرية في حمرة وبياض
الخمر في لحظاتها والورد في وجناتها والكشح غير مفاض
في شكل مرجي ونسك مهاجر وعفاف سنيّ وسمت إباض

أما المقطوعة الثانية فتضمن شوقه إلى مدينة تيهرت وفي الآن نفسه هجاء لمدينة تنس، حيث يقول[3]:

نأى النوم عيني واضمحلت عُرَى الصبر وأصبحتُ عن دار الأحبة في أسر
وأصبحت عن تيهرت في دار غربة وأسلمني مرّ القضاء من القدر
إلى تنس دار النحوس، فإنها يُساق إليها كل منتقص العمر
هو الدهر والسياف والماء حاكم وطالعها المنحوس صمصامة الدهر
بلاد بها البرغوث يحمل راجلاً ويأوي إليها الذئب في زمن الحشر
ويرجف فيها القلبُ في كل ساعة بجيش من السودان يغلب بالوفر
ترى أهلها صَرعى دوَى أمّ مِلدم* يروحون في سكر ويغدون في سكر

لا يخفى على المتأمل في هذين النصين الشعريين أنهما يدلان من جهة على روح شعرية كامنة عند ابن الخزاز، ومن جهة أخرى يدلان على أن

[1] سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية. ج2. ص125.

[2] نفسه: ص125- 126.

[3] ياقوت الحموي: معجم البلدان. دار صادر، بيروت. ط2. 1995. ج2. ص48- 49.

* أم ملدم: كنية عن الحمى.

شعراءنا الجزائريين على إلمام بالعقائد والمذاهب ولهم مشاركة في مناقشتها ومناظرتها[1].

بكر بن حماد التيهرتي(ت 296هـ)

يعد بكر بن حماد " أنبغ شخصية بالشعر الغنائي بالمغرب العربي ولا نجد نظيرها في عمق تفكيرها وأصالتها البيانية وامتلاكها لموهبة شعرية محترمة إلاّ في الأندلس التي أنجبت الغزال وابن عبد ربه"[2].

ومما يؤكد هذه الملكة الشعرية التي ميزت بكر بن حماد عن غيره من شعراء الجزائر في زمانه، أنه أول شاعر جزائري من أصحاب الدواوين، ولا يخفى عن الناظر في ديوانه الشعري أن يجد جميع الأغراض الشعرية "التقليدية، كالرثاء، والمدح، والهجاء والزهد والوصف وغيرها، وأجاد فيها جميعا، وحاول الابتكار في الشعر الزهدي، وشعر التأملات والاعتبارات أو الشعر الفلسفي الديني"[3].

وستكون لنا -إن شاء الله -وقفة تفصيلية لتجربة بكر بن حماد الشعرية في محاضرة مستقلة.

وإلى جانب هؤلاء الشعراء، ورد في كتب السير والأخبار أسماء شعراء آخرين لكن دون ذكرٍ لنتاجهم الشعري نظرا لضياعه وعدم وصوله إلينا، ومن بين هذه الأسماء المذكورة نجد: ابن الهرمة الأديب الفكاهي المضروب

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص87.

[2] نفسه. ص87.

[3] نفسه: ص91.

به المثل في إجادة النقد وحذق الشعر، وسعيد بن واشكل التيهرتي أبرز قضاة تيهرت وشعرائها[1].

ثانيا: النثر.

لما كانت الدولة الرستمية إباضية المذهب وأئمتها لا يزالون يدعون رعيتهم في محيط تيهرت وخارجها إلى الامتثال بدعوتهم، فمن الطبيعي - والقول لعبد الملك مرتاض -أن يزدهر النثر ازدهارا نسبيا " مثله مثل صنوه الشعر، وذلك بفضل التحاد الحكام الرستميين إلى التعويل على كتابة الرسائل، وارتجال الخطب (...) أو تأليف الكتب، إمّا انتصارا للنزعة الإباضية وترسيخا لوجودها، والتمكين لها من الانتشار، بين ربوع أرض الجزائر بعامة (...) من وجهة، وإمّا تيسيرًا أو تبسيطًا للمبادئ الأولية للفقه الإسلامي لتمكين عامة الناس من فهمها واستيعابها (...) من وجهة أخرى"[2].

ولما كانت الخطابة أداة تعبيرية للإقناع، ووسيلة مباشرة للاتصال بالناس، فقد نالت اهتمام الأمراء والحكام الرستميين مجتمعين، وتأكيدا لهذه الأهمية، يقول الباروني: " المشهور أن لهؤلاء الأئمة كلهم دواوين خطب للجُمَعِ والأعياد، إذ كانوا يخطبون بأنفسهم ولا يعيدون خطبة خطبوا بها قط"[3].

وإذا كانت الخطابة في هذا العهد بهذه الشهرة، فالأكيد أننا نجد خطباء كثيرون من أمثال: ابن أبي إدريس، وأحمد التيه، وأبو العباس بن فتحون، وعثمان بن الصفار، وأحمد بن منصور، لكن الإشكال أن خطبهم لم تصلنا، والباروني نفسه اشتكى غياب نصوصهم باستثناء ما أورده ابن الصغير في كتابه أخبار الرستميين، الذي جمع فيه خطب ورسائل الأئمة

[1] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. المطبعة العلوية. مستغانم. 1966. ص39.

[2] عبد المالك مرتاض. الأدب الجزائري القديم. ص83.

[3] سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية. ج2. ص 339.

الرستميين دون سواهم، حيث يقول: "وكلما بحثنا لم نعثر على شيء منها، وقد تعرض ابن الصغير لشيء قليل من هذا الأمر"[1]، ومن النماذج التي نمثل بها على هذا الجنس النثري خلال عهد الرستميين، خطبة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم حين ولى السمح بن أبي الخطاب نائبا عنه عن جبل نَفُوسة، لما جمعهم وخطب فيهم، قائلا:

" قد علمتم -معشر المسلمين - أن السمح وزيري وأخص الناس بي وأحبهم إليّ، وأنصحهم لدولتي وأني لا أصبر على فراقه، وقد آثرتكم على نفسي، تتمينا لرغبتكم، وها أنذا قد وليته عليكم فأحسنوا الطاعة والانقياد لأمره ما سار فيكم سيرة المسلمين، ولم يحد عن جادة العدل والإنصاف، ولم يرتكب ما يؤذن بسخط الرب أو بمخالفتنا"[2].

إن هذا النص الذي أمامنا وإن كان من جهة يبتعد عن ضروب السجع وألوان البديع، مثلما هو الحال في خطب صدر الإسلام، فإنه من جهة أخرى يدل على " أن الأئمة الخطباء كانوا من الثقافة والعلم (...) ما يمكنهم من التفنن في إلقاء الخطب"[3].

ومن خطب الأئمة الرستميين، أيضا، هذه الموعظة التي كان الإمام أبو حاتم يوسف يلقيها يوم الجمعة، قوله:" الحمد للّه الذي ابتدأ الخلق بنعمائه، وتغمدهم جميعا بحسن بلائه، فوقف كل امرئٍ منهم في صِبائه، إلى ما يحتاجُ إليهِ مِن غذائه، وسَخَّر له مَنْ يكْلؤهُ إلى وَقت استغنائهِ، ثم احتجَّ عَلى مَن بلغ منهُم بآلائه، وأنذرهم بأنبيائه، الذي لم يزل بصفاته وأسمائه، لا يشتمل عليه زَمان، ولا يحيط به مكان، ثم خلق الأماكن وَالأزمان، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْكَرْهًا قَالَتَا

[1] السابق. ص339.

[2] نفسه. ص198.

[3] عبد المالك مرتاض. الأدب الجزائري القديم. ص86.

أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، فقدَّرَها أحْسَنَ تَقديرٍ، وَاخترعَها عن غير نَظيرٍ، لم يرْفَعْها بِعَمَدٍ تدرك بالمعاينة، وَلم يستعِنْ عَليها بأحَدٍ استكبارا عن الشركة والمعاونة، وزَيَّنها للنَّاظرِين، وجعل فيها رجوما للشياطين، فتبارك اللّه أحسن الخالقين... "[1].

يتضح من هذه الخطبة التي اجتزأنا منها هذا المفتتح أن النثر الأدبي في عهد الامام أبي حاتم يوسف قد بلغ رقيا وتطورا كبيرا، وهو ما يعكسه لنا هذا النص، أعلاه، الذي أبان فيه الامام عن اهتمامه اللاّفت في انتخاب ألفاظه وعباراته وما يشيع فيها من السجع ومن التوازنات والمقابلات الدقيقة[2].

وما قيل عن الخطب في العهد الرستمي يقال أيضا عن الرسائل حيث كان أغلب كتابها -فيما وصلنا من نصوص - من أئمة الدولة الرستمية، وهي رسائل في مجملها ديوانية ذات طابع سياسي تتناول شؤون الدولة وسياسة الحكم في ذلك العصر، وقد جمع سليمان الباروني في كتابه الأزهار الرياضية، وابن الصغير في أخباره بعضا من النصوص التي تسنى لهما الحصول عليها.

ومن الرسائل التي نمثل بها رسالة للإمام عبد الوهاب أرسلها إلى طرابلس لما توفي السمح بن أبي الخطاب، لما استخلف بعضهم غيره فكتب إليهم ما نصه:

"بسم اللّه الرحمان الرحيم، وعلى نبيه محمد وعلى آله ...

من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بحيز طرابلس ...

---

[1] سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية. ج2.ص 340.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. دار المعارف. القاهرة. ط1. (دت). ج10.ص224.

أما بعد: فإني آمركم بتقوى اللّه، واتباع ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه، وقد بلغني ما كتبتم به إليّ من وفاة السمح، واستخلاف بعض الناس خلفا ورد أهل الخير ذلك.

فإن من ولى خلفاً من غير رضا إمامه، فقد أخطأ سيرة المسلمين، ومن أبى من توليته، فقد أصاب، فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله منكم السمح إلى عمالته التي ولي عليها، إلاّ خلف بن السمح فحتى يأتيه أمري وتوبوا إلى ربكم وراجعوا التوبة لعلكم تفلحون"[1].

إن ما يلحظ على هذه الرسالة أنها في هيكلها لم تخرج عما عرف عند المشارقة حيث اشتملت على مقدمة تضمنت البسملة والتصلية على النبي صلى اللّه عليه وسلم، ثم الانتقال للمضمون بكلمة أمّا بعد، حيث بين حق الإمام وما جرى عليه عرف الإباضية الذين سماهم بالمسلمين، ثم بين خطأهم في تولية مسؤول لهم بعد وفاة السمح دون الرجوع للإمام، منبها في ذلك لعدم شرعيته وبعد ذلك ختم رسالته بجمل أمرية تفيد ضرورة التوبة إلى اللّه.

[1] سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية. ج2. ص 200-201.

المحاضرة الرابعة الأدب في عهد الأغالبة (184 -296هـ)

أولا: في نشأة الإمارة وامتدادها في الأراضي الجزائرية

استقلت أفريقية والجهة الشرقية من المغرب الأوسط عن الخلافة العباسية على يد إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ حيث أسس الدولة الأغلبية[1]، وجعل عاصمتها مدينة القيروان التي أصبحت من أعظم الحواضر الإسلامية[2] في المغرب العربي.

كان أمراء هذه الدولة معتنين بترقية أفريقية ماديا وثقافيا مستمدين دعمهم من دولة بني العباس ببغداد[3]، وبالرغم من هذه التبعية للخلافة العباسية في ظاهرها، فإن تسيير الحكومة الأغلبية كان بأمر "أميرها أو ملكها المقيم بالقيروان، فهو صاحب النفوذ الأعلى على جميع المملكة الممتدة من طرابلس إلى الحضنة والزاب الجزائري (...) وقاعدته مدينة طبنة –شرقي الحضنة - ويمتد إلى جنوب عمالة قسنطينة"[4].

ومن على شرفة هذا الامتداد الجغرافي، كان التوغل الأغلبي في التخوم الجزائرية -أو ما يصطلح عليها بأراضي الزاب -يمتد " من سكيكدة شرقا إلى وطن زواوة غربا، ومن ميلة وسطيف شمالا إلى شط الجريد جنوبا"[5].

لقد كان إقليم الزاب الجزائري قطعة من بلاد الدولة الأغلبية، " يولّي الأمير الأغلبي ولاتها، ويمنحهم استقلالا إداريا واسعا (...) ولم تعرف بلاد

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص23.

[2] أحمد توفيق المدني. كتاب الجزائر. المطبعة العربية. الجزائر. (دط). 1931. ص 22

[3] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص23.

[4] عبد الرحمن الجيلالي. تاريخ الجزائر العام. ج1. ص260. 262.

[5] نفسه. ج1. 262.

الزّاب قبل ذلك مثل تلك الرفاهية والخصب والأمن (...) فكانت الحضارة الإسلامية في الزاب أثناء العصر الأغلبي من أزهر الحضارات ببلاد الجزائر"[1].

عمرت دولة الأغالبة 112 سنة وكان سقوطها على يد أبي عبد اللّه الشيعي سنة 296هـ.

ثانيا: في أدب الإمارة.

يذهب رابح بونار إلى اعتبار أن فترة حكم الأغالبة يعدّ عصر نهضة ثقافية لأنه "عصر نهضت فيه العلوم والآداب (...) ونشطت فيه الحركة العلمية نشاطًا ملحوظًا، وقد تميزت فيه مباحث العلوم القرآنية وغيرها (...) وجنح علماء كل فن إلى التخصص فنجد بعضهم قد اتجهوا نحو الدراسات الأدبية البحتة، وآخرين قد اتجهوا نحو العلوم الدينية كأسد بن فرات وسحنون وغيرهما"[2].

والأكيد أن هذه الآونة قد شهدت بروز الكثير من الأدباء الجزائريين الذين حازوا الرئاسة في العلم[3]، لكن كتب السير والتراجم كانت شحيحة في ذكر هؤلاء الأدباء، وما نجده من أسماء جزائرية بارزة خلال فترة حكم الأغالبة نذكر:

-**محمد بن الحسين الطبني**، الذي يعد شاعرا محسنا وأديبا بارعا، من أهل طبنة، دخل الأندلس سنة 325هـ، كان من شعراء الخليفة الأموي الأندلسي الحكم بن عبد الرحمان الناصر، ولم يصل إلى الأندلس أشعر منه[4].

---

[1] أحمد توفيق المدني. كتاب الجزائر. ص 23.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص51.

[3] محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. ص36.

[4] ابن بشكوال: كتاب الصلة في تاريخ ائمة الأندلس. مراجعة: السيد عزت العطار الحسني. مكتبة الخانجي. ط2. 1655. ص502.

لقد ضاع من شعر محمد بن الحسين الطبني الكثير فيما ضاع من تراثنا، وما بقي منه تناثر في مصادر مختلفة من كتب الأدب والتراجم والتاريخ، والفضل كل الفضل يعود لفورار أحمد بن لخضر الذي قام بعمل مشكور حين جمع شعر محمد بن الحسين الطبني فيما توفر له من مصادر، وقد بلغ عدد الأبيات التي جمعها سبعة وثمانين بيتا، موزعة على أغراض شعرية تقليدية متنوعة كالمدح، والوصف، والرثاء، والهجاء[1].

ومن النماذج التي نستدل بها على شعره، ما قاله في مدح هشام بن الحكم[2]:

حـــــصّن به دين النّبي محمّد وأقِـــم به أوَد الزّمان الأعوج
لهجَت ببيعته النّفوسُ فأخْذُها من واجب الأشياء لو لم تلْهج
عُود الـــــنّبوة والخلافة أصلُه فالفرعُ في تلك العروق الوشّج
وإذا تبلَّج وجـــــهُ صبحٍ مقبل فالشّمس تحت ضيائه المتبلّج
هو زهرة الدّنيا وباب سرورها فأعـــهد وسُرّ به الأنام وأبهج

وهذه الأبيات كما هو واضح من دلالاتها أن موضوعها هو المدح، ولا يخفى عن متلقيها أن يتمثل فيها رقة عواطفها، وسهولة أسلوبها وترابط أبياتها وانسجامها، ولعل هذا النمط من الشعر يدل دلالة واضحة على تمكن صاحبها من قرض الشعر ونظمه.

-**إسحاق بن عبد الله، وقيل ابن أبي عبد الملك، الملشوني**: شيخ أمراء بني الأغلب ونديم بلاطهم (أواسط القرن 3هـ) فقيه محدث له معرفة بالتاريخ، من أهل ملشون، وهي قرية من قرى بسكرة، نشأ الملشوني في قريته وبها

[1] أمحمد بن لخضر فورار: من شعر الطبني محمد بن الحسين تقديم وجمع (300هـ -394هـ). مجلة المخبر. جامعة بسكرة. العدد8. 2012. ص251-260.

[2] نفسه. ص256.

تعلم ثم انتقل إلى القيروان، وأصبح نديما لمحمد بن الأغلب[1]، وفي علاقة اسحاق ببلاط الأمراء الأغالبة، يقول أبو العرب صاحب كتاب طبقات علماء أفريقية " حدثني أبي أحمد بن تميم، رحمه اللّه، قال: كان أمراء بني الأغلب يرسلون إلى إسحاق، فيكون عندهم من رمضان فيحدثهم بتلك العجائب، حتى يقطع بهم طُول النهار"[2].

- **أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني:** من أئمة المالكية، أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة، أقام بطرابلس الغرب مدة طلبا للعلم ثم انتقل إلى تلمسان واستقر بها إلى حين وفاته، وقد اختلف في سنة وفاته والأرجح أنها كانت سنة 307 هـ، من مؤلفاته: النصيحة في شرح البخاري، والواعي في الفقه، والنامي في شرح الموطأ، والإيضاح في الرد على القدرية[3].

-محمد بن حيون، المعروف بابن البريدي (ت 276هـ).

كان أديبا طريفا، وشاعرا بليغا، بارعا في كتابته، مليح الشعر، يذهب فيه مذاهب الكتاب، وكان إبراهيم الأغلبي الثاني (261 -289هـ) قد جعله كاتبه، ثم سخط عليه بعد أن جعل إليه أموره كلها، فحبسه إفسادا لصنائعه، وقلة عفو، وسرعة بطش، فكتب إليه البريدي رسالة استعطاف من السجن ختمها بأبيات[4].

يقول البريدي في نص رسالته: "أعز اللّه الأمير لكرم العفو وعلو قدره، وجليل خطره، تسمى اللّه عزّ وجل فسمى نفسه العفو الغفور، والطبع البشري

---

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. بيروت. لبنان. ط2. 1980. ج1. ص369.

[2] أبو العرب التميمي: كتاب طبقات علماء أفريقية. دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان. (دط). (دت). ص98.

[3] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص141.

[4] ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام. تحقيق: سيد كسروي حسين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ج2. ص307.

مركب على النقص، مقرون بالزلل، إلاّ ما خص اللّه تعالى به الأنبياء، وأودعه السادات الأمراء من طهارة الأخلاق ونزاهة الأنفس، ولست -أيد اللّه الأمير -ممن يدعي العصمة، والبراءة من الهفوة، ولست أمُتُّ إليك إلاّ بفضلك عليّ، وإحسانك إليّ، ولا أعرفك، بل أذكرك، أن من غرس غرسا فوجب أن لا يجتثه، وإن أبطأ بسوقه، بل يمده بمداد موارده العذبة حتى تمتد خيطانه، وتورق أغصانه، وأعاذك اللّه تعالى بما أودعك من معالي الأخلاق من ترك العفو عن مقر معترف، لا يعرف إلاّ فضلك، ولا يرجو إلاّ عدلك.

ولو كنت أعز اللّه الأمير عوانا في الخدمة، لكان عفوك أكبر من ذنبي، وفضلك في حلمك أعظم من جرمي، فكيف وأنا بكر في خدمتك لم أقف على حدودها، ولا معرفة اقتسام مراتبها، فإن يكن ذنب فعلي غير قصد أو زلة فليست عن عمد.

ومما ذهبت به الأفواه، ونطقت به الألسن وعرفه الخاص والعام بينا واضحا إنك ممن عني اللّه جل ذكره ﴿لا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: الآية 22].

وقال اللّه عز وجلّ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: الآية 134]

فلا أحد بمعالي الأخلاق والامتثال لأدب اللّه أحق منك لم وهب سألت إلاّ سؤال من دحضت حجته، وأحاطت بع زلته، وأوبقه جرمه.

فالحظني بعين عفوك وأضفِ عليَّ ستر نعمتك، وأقول أعز اللّه الأمير:

هبني أسأت فـــــأين العفو والكرم قد قادني نحـوك الإذعان والندم

يا خـــــــير من مُدَّتِ الأيدي إليه أما ترثـــــــي لمن بكاه عندك القلم

بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا"[1].

يتبين لنا البريدي من خلال هذه الرسالة التي كتبها مستعطفا ومعتذرا من الأمير إبراهيم الأغلبي الثاني، أنه ملم بأدوات الكتابة، مبتعد قدر الحاجة عن التأنق اللغوي إلاّ ما اقتضاه سياق اللفظ في إعلاء شأن الأمير، أما ما يميز أسلوبه في هذه الرسالة، فنجد:

-اقتبس من القرآن الكريم في آيتين توافقتا تمام الاتفاق مع موضوع الرسالة وهو طلب العفو.

-ختم الرسالة بأبيات شعرية في الاستعطاف

وهذه الرسالة وإن كانت تعدّ النص الوحيد الذي عثرنا عليه -في حدود علمنا -لكنها تمثل بحق تجربة إبداعية رائدة تحسب للأدباء الجزائريين خلال هذه المرحلة من مراحل تاريخ الجزائر القديم.

[1] السابق. ص307- 308.

المحاضرة الخامسة الأدب في عهد الحماديين (405 -547 هـ)

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها

قويت الدولة الفاطمية فاستولت على تيهرت والقيروان، ولما اشتد نفوذها وفتحت مصر وقرر المعز لدين الله الفاطمي الانتقال إليها (361هـ) استخلف على إمارة أفريقية والمغرب عامة الأمير بلكين بن زيري من قبيلة صنهاجة البربرية التي أخلصت له في الولاء والدفاع عن كيان الدولة أيام الخطر[1].

ولما مات بلكين بن زيري (373هـ) خلفه ابنه المنصور (373 - 386هـ)، والمنصور خلفه ابنه باديس (386 -406هـ)، وكان أول ما قام به باديس من الأعمال الإدارية أن عقد لعمه -حماد بن بلكين - على ولايتي المسيلة وأشير، ليقف في وجه قبائل زناتة الثائرة بالمغرب الأوسط[2]، فقاتلهم حماد وأخمد تمردهم، ثم شرع في بناء مدينة القلعة عام (398هـ) قرب مدينة أشير وشمال شرقي مدينة المسيلة التي نسبت إليه «قلعة بني حماد» وجعلها مقرا لملكه[3].

ولّما ذاع صيته وعظمت هيبته خشي باديس على ملكه، فطلب من حماد أن يستقيل ويرفع يده على ما حازه من جهات شرقية واسعة سنة (405هـ)، لكن حمادا أبى فساءت العلاقة بينهما، وثارت بينهما حروب كاد يظفر فيها باديس بعمه حماد لولا موته الذي فاجأه سنة 406هـ، وهو محاصر

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص132.

[2] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج1. ص332.

[3] محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. ص41.

لعمه في القلعة، وبتولى المعز بن باديس أمور الحكم، تصالح مع حماد، واعترف له بالاستقلال بولاية الجزائر، التي أسس فيها دولته[1].

كانت عاصمة الحماديين في فترة نشأة الدولة هي القلعة / أشير، ثم انتقلت إلى بجاية على يد الناصر بن علناس (454 -481هـ) سنة 460هـ، بسبب هجمات القبائل الهلالية التي تسربت إلى الجزائر خلال تلك الفترة[2].

هذا، ومن المستحسن لفت الانتباه إلى أن القبائل الهلالية تتكون من أعراب بني هلال وبني سليم التي أرسلها الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة 442هـ لما بلغه ما قام به المعز بن باديس من إعلان " انفصاله السياسي عن الفاطميين، ولعن مذهب (الشيعة) الروافض، وأبطل شعائرهم، وقطع الخطبة باسمهم، ودعا للخلافة العباسية ببغداد تثبيتا لملكه..."[3].

تأثر الخليفة الفاطمي لهذا الانقلاب الديني والسياسي العظيم الذي وقع بأفريقية، ويومها دبرت مكيدة الحملات الهلالية، " وكانت هذه القبائل قبل استقرارها بالصعيد المصري تستوطن بوادي الحجاز، وفي عهد الراشيديين (11 -40هـ) أخذت تتسرب إلى الناحية الشرقية من وادي النيل، ولما انتقلت الدولة الفاطمية إلى القاهرة (361هـ)، ورأت أضرارهم وشغبهم في هذه المنطقة تضايقت منهم ونقلتهم إلى الصعيد إلى أن رأت استقدامهم وإرسالهم إلى أفريقية"[4].

نزل هؤلاء الأعراب بأفريقية فأكثروا فيها الفساد والنهب والتخريب ثم زحفوا إلى الزاب -القطر الجزائري -حيث اكتسحوا أراضيه وصولا إلى ضواحي القلعة، ففزع الناصر منهم وشرع في تأسيس بجاية 460هـ، فرارا

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص133 وما بعدها.

[2] نفسه. ص144.

[3] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج1. ص340.

[4] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص134.

منهم وتحصنا من هجماتهم[1]، وقد استمر زحف هؤلاء الأعراب حتى امتلكوا أغلب الجهات التي كانت خاضعة لحكم الزيريين والحماديين " إلى أن ظهرت دولة الموحدين بالمغرب الأوسط سنة 547هـ واحتلوا بجاية ثم التقوا بالأعراب في نواحي سطيف وهزموهم شر هزيمة"[2].

لقد كان لنتائج الزحف الهلالي على أفريقية (442هـ) وعلى الجزائر (460هـ) أثر كبير؛ سواء على الحياة الاجتماعية أو في الحياة الثقافية، حيث أثرت لغة التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان الأمازيغي الذي كان طاغيا على اللسان العربي، وسارت عملية التعريب متزامنة مع حركة المزج والاحتكاك طيلة قرون عدة حتى كادت العربية تكون اللغة الأولى في عهد الحماديين[3].

ثانيا: في أدب إمارة الحماديين

استطاعت دولة الحماديين أن ترث أمجاد العهود السابقة عليها، فكونت دولة بربرية دينها الإسلام ولغتها العربية، وكان عصرها عصر نهضة ثقافية علمية أدبية، ويعود فضل هذا الازدهار الثقافي إلى الأمراء الذين تعاقبوا على حكم هذه الدولة، حيث كان منهم " من نبغ في العلم والأدب ونطق بالشعر فأبدع، وكانت الأوساط العلمية راقية قبلهم فزادوها رقيا وانتشارا، وأنشأوا المدارس الكثيرة، وأغرموا بِجَمْعِ مدارس المناظرة، وأمهم العلماء والشعراء"[4] من أقطار متعددة، كأفريقية والأندلس والشام والعراق وغيرها، حيث تقاطر هؤلاء الوافدون على المراكز العلمية الجزائرية سواء

---

[1] السابق. ص138.

[2] نفسه. ص139.

[3] نفسه. ص196.

[4] أحمد توفيق المدني. كتاب الجزائر. ص81.

القلعة أو بجاية، وكان إسهامهم في تنشيط الحركة الثقافية إسهاما كبيرا بما حملوه معهم من العلوم والآداب.

ومن على شرفة هذا الازدهار الثقافي، عرف الأدب الجزائري خلال هذا العهد نبوغ الكثير من الأعلام في الشعر والنثر على حد سواء، لكن تراجم الكثير منهم ضاعت، وما بقي منها يجدها الباحث مشتتة -على قلتها- في مختلف المصادر التاريخية والأدبية.

1 -**الشعر.**

ازدهر الشعر في هذا العهد ازدهارا كبيرا، إذ اتسعت موضوعاته وتعددت أغراضه وصفا وغزلا وفخرا ورثاء ومدحا وهجاء وخمريات، وقد وجدت إلى جانب هذه الأغراض التقليدية أغراض أخرى لم يكن لها ذكر في العصر السابق للحماديين كالشعر القصصي عند قاضي ميلة، وشعر التوسلات عند ابن النحوي وشعر الموشحات عند يوسف بن المبارك[1].

ونشير، هنا، أن الجزائر خلال حكم الحماديين عرفت بروز أسماء كثيرة في قرض الشعر " ولكن التاريخ لم يعن بتدوين آثارهم والتعريف بإنتاجهم، فضاع جله ولم تصلنا منه إلاّ نتف نجدها مبعثرة هنا وهناك في مصادر مختلفة "[2]، ومن أشهر هؤلاء الشعراء نذكر:

-محمد بن عبد الكريم النهشلي(ت 405هـ)

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص200- 201.

[2] نفسه. ص201.

لم يعرف عن عبد الكريم النهشلي الشيء الكثير، لأن ما وصلنا من أخباره شذرات مفرقة لا تعطي صورة واضحة عن حياته وعلمه وأدبه[1].

نشأ النهشلي في المسيلة التي قضى بها أيام شبابه وتلقى فيها مبادئ الدين وعلوم اللغة العربية، ثم انتقل إلى القيروان - حاضرة العلم آنذاك - حيث لمع نجمه وذاع صيته، فـ" تولى الكتابة في ديوان الخراج، ثم نقل إلى الكتابة في ديوان الإنشاء على عهد المعز بن باديس"[2]، توفي بالمهدية، وعلى رأي آخر بالقيران سنة 405هـ.

من آثاره التي وصلتنا كتابه الممتع في صنعة الشعر الذي ألفه في الشعر وأحواله وفنونه، وقد نقل ابن رشيق جملة من آرائه في كتابه العمدة[3].

كان النهشلي -والقول للصفدي -" شاعرا مقدما عارفا باللغة خبيرا بأيام العرب وأشعارها بصيرا بوقائعها وآثارها"[4]، قال الشعر في أغراض مختلفة كالوصف والمدح والرثاء والحنين، ومن النماذج الشعرية التي نستدل بها على نظمه، هذه الأبيات التي يمدح بها المنصور بن بلكين وابنه باديس، قائلا[5]:

يشكو هواك إلى الدموع متيّمٌ لم يبق فيه للعزاءِ نَسِيسُ*
لولا الدموع تحرَّقت من شوقه يومَ الوداع قبابكم والعيسُ

[1] عبد الكريم النهشلي: الممتع في صفة الشعر. تحقيق: محمد زغلول سلام. منشأة المعارف. الاسكندرية. (دط). (دت). ص03.

[2] محمد محفوظ: كتاب تراجم المؤلفين التونسيين. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط2. 1994. ج5. ص47.

[3] نفسه. ج5. ص47.

[4] الصفدي. الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. دار احياء التراث. بيروت. 2000. ج19. ص51.

[5] ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان. تحقيق: محمد العروس المطوي وبشير البكوش. الدار التونسية للنشر. تونس. 1986. ص176.

* نسيس: بقية الروح.

دَرَكُ الزمان وحبّك ابــنة مالكٍ في الصّدر لا خَلَقٌ ولا مدروُس
فكأنه ما شاده المنصــورُ من رُتَـــبٍ العلى واختاره باديسُ

ابتدأ النهشلي قصيدته المدحية بالتغزل بمحبوبته ابنة مالك مقتفيا في ذلك طريقة العرب في استفتاح قصائدهم بمقدمات، ثم انتقل بعدها إلى غرض المدح وقد أحسن في ذلك، وعن هذا الانتقال الحسن يقول ابن رشيق: " وأغرب في الانتقال إلى المدح"[1].

-ابن أبي الرجال التيهرتي(ت 426هـ)

علي بن أبي الرجال الشيباني يكنى أبا الحسن، كاتب وشاعر ومنجم، ولد بتيهرت وتربى في القيروان، وفيها تولى رئاسة ديوان الإنشاء على عهد الأمير باديس الصنهاجي الذي جعله مربيا ومعلما لابنه المعز[2]، وبعد تولي المعز ملك بني زيري جعله وزيرا، وكانت منزلته لديه سامية، ونفوذه في البلاط عظيم، فتقرب إليه العلماء والأدباء، وكان ابن أبي الرجال شاعرا لطيف الوجدان جيد الأسلوب صادق العاطفة، نظم الشعر في أغراض متعددة لكنه ضاع، وما وصلنا منه إلاّ قطع متناثرة أورد ابن رشيق في عمدته أبيات منها في سياق استشهاده، ومن هذه النماذج التي ذكرها ابن رشيق: " قوله بتيهرت سنة خمس وأربعمائة تشوقا إلى أهله:

ولي كبد مـكلومة من فراقكم أُطامـــنها صبرا على ما أجنّتِ
تمنَّتْكـــــم شوقا إليكم وصبوةً عسى اللّه أن يدني لها ما تمنَّتِ
وعينٌ جَفَاهَا النومُ واعتادها البكى إذا عنَّ ذكـرُ القيروان استهلتِ" [3].

[1] السابق. ص176.

[2] محمد محفوظ: كتاب تراجم المؤلفين التونسيين. ج2. ص343.

[3] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد الدين عبد الحميد. دار الجيل. ط5. 1981. ج1. ص134.

فهذه الأبيات التي نظمها ابن أبي الرجال بتيهرت تصور شوقه، وتعبر عن حالة الفقد والحنين لأهله في القيروان الذين غاب عنهم، ولما كان الشاعر قد أبدع في التصوير وأوجز، فقد علق ابن رشيق بعد أن أورد هذه الأبيات في عمدته، بقوله: " لو أن أعرابيا تذكر نجدا فحن به إلى الوطن، أو تشوق فيه إلى بعض السكن ما حسبته يزيد على ما أتى به هذا الحضري المتأخر العصر"[1].

-ابن الربيب التاهرتي(ت 420هـ)

الحسن بن محمد التميمي القاضي التاهرتي، المعروف بابن الربيب، أصله من تيهرت، طلب العلم بالقيروان، كان خبيرا باللغة، شاعرا مقدما، متكلفا في الكلام بعض التكلف، توفي بالقيروان سنة 420هـ[2]،

ضاع شعره، ولم يصلنا منه إلاّ بعض النتف في كتب الأخبار والسير، ذكر له ابن رشيق في أنموذج الزمان بعضا من شعره، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر، قوله مادحا[3]:

ولما التقى الجمعان واستمطر الأسَى مدامِعَ منّا تمطر الموت والدّمَا
لدى مأتم للبـــــين غَنَّى به الهوى بشجو وحنّ الشوقُ فيه فأَرزمَا
تصدَّتْ فأشْجَتْ ثمّ صدّتْ فأسلمَتْ ضـــميرك للبلوى عقيله أسلمَا

لا يخفى على الناظر في هذه الأبيات التي مدح بها ابن الربيب محمد بن أبي العرب أن تنهض دليلا صريحا على الملكة الشعرية المتفردة التي يتميز بها الشاعر، وكفى بهذا الشعر -والقول لأبن رشيق -" شاهدا بالحذق، لما فيه

[1] السابق. ج1. ص134.

[2] ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان. ص111- 112.

[3] نفسه. ص112.

من القوة والاندفاع، وجزالة اللفظ، والمجانسة بين تصدت وصدت وبين أسلمت وأسلم"[1].

-ابن قاضي ميلة

هو أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميلة، أحد أدباء الجزائر وفقهائها، أثنى عليه ابن رشيق ووصف شعره بأنه شعر قصصي ينحو منحى شعر عمر بن أبي ربيعة، لما قال: " شاعر لسن مقتدر، يؤثر الاستعارة ويكثر الزجر والعيافة، ويسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات"[2].

لم تخبرنا كتب الأخبار والسير عن حياة ابن قاضي ميلة، ولا عما خلفه من نتاج أدبي سوى ما ذكره ابن رشيق من أنه " صحب أباه إلى جزيرة صقلية، وكان مفخما حاذقا فعرف ثقة الدولة* (...) فأوطن البلد وصنع فيه قصيدته الفائية"[3]، التي مدحه بها في عيد النحر، وعن هذه القصيدة يقول ابن خلكان " وهي قصيده بديعة لا توجد بكاملها في أيدي الناس، ولقد ظفرت بها في ظهر كتاب ولم يكن عندي منها سوى البعض، ولا سمعت أحدا يروي منها إلاّ ذلك القدر، فأحببت إثباتها لحسنها وغرابتها"[4].

يقول ابن قاضي ميلة في مفتتح قصيدته[5]:

يُذِيلُ الهوى دمعي وقلبي المــعنَّفُ وتجني جفوني الوجدَ وهو المكلّفُ
وإني ليدعوني إلى مـــــا شنفتُهُ وفـــــــارقت مغناه الأغنُّ المشنّفُ

---

[1] السابق. ص112.

[2] نفسه. ص209.

* من أمراء بني أبي الحسين في صقلية.

[3] نفسه. ص209- 210.

[4] ابن خلكان: وفيات الأعيان. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت. ط1. 1994. ج6. ص159.

[5] ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان. ص210.

وأحورُ ساجي الطرف أما وِشاحُه فـــــــــــصفر وأما وقفه فموقَّفُ
يطيب أجاج الماء من نحـــو أرضه يحـــــيي ويندي ريحه وهو حرجفُ

وهذه القصيدة التي نظمها الشاعر في مدح ثقة الدولة وضمنها حواره القصصي مع الفتاه المتغزل بها تعد "في أسلوبها الجديد، وحوارها الخفيف، وروحها القصصية المحبوكة، درة من درر الأدب الفائقة"[1] في العصر الحمادي.

-الفقيه أبو حفص عمر ابن فلفول

لا نعلم شيئا عن سيرة حياته سوى أنه كان شاعرا وكاتبا ليحيى بن العزيز الحمادي(515 - 547هـ) وصاحب سره، وفي شعره الذي وصلنا ما أنشده " له الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي عند الاجتماع به في جزيرة صقلية:

وقالوا: نأى عنكَ الحبيب فما الذي تراه إذا بـــــان الحبيبُ المُواصل
فإن أنت أحببتَ التَّصـــــــــبُّرَ بعده ولم تستطع صبرا فما أنت فاعل
فإنّ الهوى مهما تـــكَّنَ في الحشا وحلَّ شغاف الـــــقلب ليس يُزَايلُ
فكم رام أهلُ الحب قبلك سلوة وزادهم عنها هوًى مـــــــتواصل
فقلت: ألا للصّبر مفزع عاشـــــــق وللصّبْرُ أحرى بي وإن غـال غائل
سأصبرُ حتَّى يفتح الله في الهـــوى بوصلِ حبيبٍ طال فيها الطوائل" [2]

نظم الشاعر هذه الأبيات في غرض الغزل بأسلوب لطيف ومعانٍ جليلة، وقد عكس من خلالها حوارا بين المحبين المكابدين للوعة التصبر وآلام الفراق.

-علي بن الزيتوني الشاعر(حي أوئل القرن 6هـ)

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص223.

[2] العماد الأصفهاني. خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء المغرب. تحقيق: محمد المرزوقي وآخرون. الدار التونسية للنشر. النشرة الثالثة. 1986. ص179.

من شعراء الجزائر خلال عهد الحماديين، لا نعلم شيئا عن سيرة حياته باستثناء ما ذكره صاحب الخريدة من أنه " صاحب توشيح وتوشيع وتقسيط وتقطيع وقد سار شعره غناء"[1].

أما عن شعره فذكر مقطوعتان، " واحدة في مدح بعض القضاة، وهي:

نَهاه عن محارمه نُهاه وقرَّبه لخالقه تُقاه
وقال: اللّه ليس سوى ربّ ولا لشريعتي أحدٌ سواه
هو البَرّ العطوفُ على البرايا وبالأيتام يرحمُ من أتاه
وشَدّ به عُرى الإسلام حتى رأينا النُّجْح وانعقدت عُراه
أمينٌ، عدلُه غمر البرايا فما يُخْشى على أحد قضاه
مسيحٌ، خطوه في كل علم ومن ذا يقتضي أبدا خطاه
أبي، شأنه طلب المعالي ومن يحصي ثناه أو نداه
لقد ظفرت يد عَلِقَتْ نداه ومن ناواه قد تبّت يداه"[2].

وفي التعليق عن هذه الأبيات يقول رابح بونار أن علي الزيتوني مدح في هذه القصيدة أحد قضاة المغرب الأوسط، وقد " أشاد فيها بعقله وتقواه، وبعطفه على اليتامى وعموم الناس، ونوه بعدله وكرمه وحزمه(...) وأسلوب الشاعر جيد ومعانيه سامية، ولذلك استحق عند العماد الأصفهاني أن يرفعه على شعراء المغرب الأوسط في عصره"[3].

-ابن رشيق المسيلي القيرواني(ت 456هـ)

[1] السابق. ص181.

[2] نفسه. ص181- 182.

[3] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص229.

ولد بمدينه المسيلة سنة(390هـ) ونشأ بها وتأدب، ولما تألقت نفسه إلى التزيد من العلم وملاقاة أهل الأدب رحل إلى القيروان سنة(406هـ) وأخذ عن جل علمائها، مدح المعز بن باديس فقربه من بلاطه، ثم سافر إلى صقلية وبقي فيها إلى أن توفي[1]، اختلف في سنة وفاته وأرجح الروايات ما ذكره ابن خلكان حين جعلها " يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين وأربعمائة"[2].

ترك ابن رشيق ما يزيد عن الثلاثين مؤلفا ما بين كتب ورسائل بعضها وصلنا وبعضها الأخر ضاع، ومن أشهر الكتب التي وصلتنا العمدة في صناعة الشعر ونقده، و قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، وأنموذج الزمان في شعراء القيروان، كما خلف لنا ديوانا شعريا، لكن ما يلحظ على شعره أنه " أقرب إلى شعر الكتاب والعلماء المتصنعين منه إلى شعر المطبوعين، وشهرته كأديب ناقد أكثر منها كشاعر"[3].

نظم ابن رشيق في موضوعات متنوعة كالمدح والرثاء والهجاء والوصف ومن شعره هذه القصيدته الطويلة التي رثا بها القيروان لما خربها بنو هلال حوالي سنة(449هـ) حيث يقول[4]:

كم كان فيها من كرام وسادة ... بيض الوجوه شوامخ الإيمان
مُتَعاوِنينَ على الدِّيانَةِ والتّقى ... للّهِ في الإِسْرارِ والإِعْلان
وَمُهَذَّبٍ جَمِّ الفَضائِلِ باذِلٍ ... لِنَوالِهِ وَلِعِرْضِهِ صَوَّانِ
وَأَئِمَّةٍ جَمَعُوا الْعُلُومَ وَهَذَّبُوا ... سنَنَ الْحَديثِ وَمُشْكِلَ الْقُرْآنِ
عُلَماءَ إِنْ سَاءَلْتَهُمْ كَشَفُوا الْعَمَى ... بِفَقاهةٍ وَفَصاحَةٍ وَبَيانِ

[1] ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان. ص5- 10.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان. ج2. ص86.

[3] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص221.

[4] ابن رشيق القيرواني: الديوان. جمعه: عبد الرحمن باغي. دار الثقافة. بيروت. لبنان. (دط). (دت)، 1989. ص204.

....

كانَتْ تُعَدُّ القَيْـــــرَوَانُ بِهِمُ إِذا عُـــــــدَّ المَنابِرُ زَهْرَةَ البُلْدانِ

وَزَهَتْ على مِصْرٍ وَحُــقَّ لَها كَما تَـــــزْهُو بِهِمْ وَغَدتْ على بَغْدانِ

حَسُنَتْ فَلـــما أَنْ تَكامَلَ حُسْنُها وَسَمـــــــا إِلَيْها كُلُّ طَرْفٍ رانِ

وَتَجَمَّعَتْ فيها الفَضائلُ كُلّـــَها وَغَـــــــدَتْ مَحَلَّ الأَمْنِ الإِيمانِ

نَظَرَتْ لها الأَيَّامُ نَـــظْرَةَ كاشِحٍ تَـــــرْنُو بِنَظْرَةِ كاشِحٍ مِعْيانِ

حَتَّى إِذا الأَقْدارُ حُمَّ وَقوعُـــــها وَدَنـــــــا القَضاءُ لِمُدَّةٍ وَأَوَانِ

أَهْدَتْ لَها فِتَنا كـــــــلَيْلٍ مُظْلِمٍ وَأَرادَهـــــا كالنَّاطِحِ العيدانِ

بِمَصائِبٍ مِـــــــنْ فادِعٍ وأَشائِبٍ مَـــــمَّنْ تَجَمَّعَ مِنْ بَني دَهْمانِ

فَتَكوا بأُمَّةِ أَحْـــــــمَدٍ أَتُراهُمُ أَمِنُـــــوا عِقابَ اللّهِ في رَمَضانِ

....

وَالمَسْجِدُ المَعْمُورُ جامِـــــــعُ عُقْبَةٍ خَـــرِبُ المعاطِنِ مُظْلِمُ الأَرْكانِ

قَفْـــــــرٌ فَما تَغْشاهُ بَعْدُ جَماعَةٌ لِصـــــــلاةِ خَمْسٍ لا ولا لأَذانِ

....

حَزِنَت لها كُوَرُ الْعِراقِ بأَسْرِهـــا وَقُـــرى الشَّآمِ وَمِصرُ والْخُرسانِ

وَنَزْعَزعَت لمصابهـــــا وَتَنَكَّدَتْ أَسَـــــفاً بلادُ الْهِنْدِ والسِّندانِ

....

أَتَرَى اللَّيالي بَعْدَ ما صَنَعَتْ بِنـــا تَقْـــــــضي لَنا بِتَواصُلٍ وَتَدانِ

وَتُعيدُ أَرْضَ الْقَيْرَوانِ كَعَـــهْدِها فيـــما مَضى مِنْ سالِفِ الأَزْمانِ

مِنْ بَعْدِ ما سَلَبَتْ نَضائِرَ حُسْنِهِلْ أَل أَيْـــــــامُ وَاخْتَلَفَتْ بها فِئَتانِ

وَغَدَتْ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ قَطُّ وَلم تَكُنْ حَـــــرَماً عَزيزَ النَّصْرِ غَيْرَ مُهانِ

أَمْسَتْ وَقَـــــدْ لَعِبَ الزَّمانُ بأَهْلِها وتَقَـــــــطَّعَتْ بِهِمُ عُرا الأَقْرانِ

فَتَفَرَّقُوا أَيْدي ســـــــــبا وَتَشَتَّتُوا بَـــــعْدَ اجْتِماعِهِمُ على الأَوْطانِ

يقارن ابن رشيق في هذه القصيدة -كما هو ماثل في أبياتها -بين صورتين للقيروان، صورة القيروان المطمئنة الآمنة، والأخرى صورة القيروان المنكوبة المخربة الخائفة المذعورة جراء الهجمات الهلالية، وعلى الجملة تعد هذه القصيدة من روائع مرثيات المدن في الشعر العربي ،إذ " تدل على طول نفس الشاعر وقدرته على تصوير احساسه لهذه النكبة وحسراته على العاصمة التي كانت تنافس بغداد وقرطبة عزة وازدهارا، فأصبحت عرضة للظلم والفساد والهوان "[1].

-يوسف بن المبارك

شحت المصادر في التعريف بهذا الشاعر باستثناء ما ذكره صاحب الخريدة ،لما قال: " إنه من موالي بني حماد، وله في مدائحهم من الشعر ما أنسحب عليه ذيل حماد*، وفي ذلك قوله:

هَنَأكُمُ النَّصر ونيل النَّجاح في يومكم هذا بِسُمْر الرّماح
فأنتم الصِّيدُ الكرامُ الألى شادوا العلا بالنّائل المُسْتَمَاح
ما منكم إلاّ همام حوى مناقباً جُلَّى ومجداً صُراح
لا ترهبون الدهر أعداءكم وتمنعون العِرْض من أن يُباح
وتبذلون الرّفْدَ يوم النّدى وتسْعرون الحرب يوم الكفاح
وترفعون الجار فوق السُهى وتُكرِمون الضيف مهما استماح
لا زلتم تجنون زهر العلا في معرض العِزّ بحد الصّفاح"[2].

في هذه القصيدة يعدد الشاعر مجموعة القيم الأخلاقية التي جعلها لصيقة بآل حماد فهم في نظره آل كرم وفضائل، وأصحاب مجد ظاهر،

[1] محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 58.

* أي افتخارا بهذه المدائح.

[2] العماد الأصفهاني. خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء المغرب. ص183.

وأهل لصيانة العرض والمحافظة على الجار واكرام الضيف، وأنهم شجعان في خوض المعارك والحروب.

-ابن النحوي(ت 513هـ)

هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف، المعروف بابن النحوي، ولد سنه 434هـ ببلدة توزر جنوب القطر التونسي، انتقل إلى قلعة بني حماد التي اشتهر بها ونسب إليها، وكانت وفاته بها سنة 513هـ[1]،

يعدّ ابن النحوي من أهل العلم والفضل؛ عالما بأصول الدين، ومن كبار العارفين، وإلى جانب علمه وفقهه، كان بارعا في الأدب ونابغا في علوم اللغة، نظم في الشعر الديني وفي شعر التوسلات قصائد عدة، وتعد قصيدته المنفرجة أشهر قصائده، يقول في مفتتحها[2]:

إِشتدّي أزمةُ تنفــرجي قـد آذَنَ لَـــــيلُكِ بالبَلَجِ
وظلام الليل لـــه سُرُجٌ حتى يغشـــاه أبو السُّرُج
و سحاب الخير له مطرٌ فإذا جـــاء الإبَّانُ تَجِي
و فـــوائد مولانا جُمَلٌ لسُـــروج الأنفسِ و المُهَجِ
و لها أَرَجٌ مُـــحْيٍ أبدا فَاقْصِد مَحْيَا ذَاكَ الأرَجِ
فَلَرُبَّتَمَا فَـاضَ المَحْيَا بِبُـحورِ المَوْجِ من اللُّجَجِ

تندرج هذه القصيدة ضمن الشعر الديني وعلى وجه التحديد موضوع شعر التوسلات ، وتتخلل هذه القصيدة " مواضيع فرعية أخرى تهدف في مجملها إلى إرشاد الزاهدين والمريدين -على اختلاف مقاماتهم ودرجاتهم - إلى الطريق الصحيح، والنهج القويم، لبلوغ أمانيهم، وتحقيق غاياتهم في الدنيا

[1] البوصيري: شرح المنفرجة لأبي الفضل النحوي. تحقيق: أحمد بن محمد أبو رزاق. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري. ط1. 1984. ص5- 7.

[2] نفسه. ص22 ومابعدها

والآخرة"[1]، وإلى جانب تميزها بنفسها الصوفي العميق نجدها تتضمن أيضا الكثير من الحكم التي تدخل في باب الأمثال.

2 -النثر

يؤكد كثير من مؤرخي الأدب أن النثر الجزائري خلال فترة حكم الحماديين وصل إلى قمة الازدهار الأدبي، حيث " تجاوزت الحركة الأدبية المغربية المتلقي السلبي إلى خطاب أدبي شامل منتج للمعرفة الأدبية تفسيرا، وتنظيرا وحوارا ومنهجا"[2]، والمطلع على ما ألف خلال هذا العهد من مصنفات وصلتنا -كمؤلفات ابن رشيق أو كتاب النهشلي - يدرك بحق تميز وغنى هذا العصر وازدهار الأدب والفكر فيه، ولعل ازدهار الكتابة في هذا العصر يعود لاهتمام الأمراء والحكام بالأدب والأدباء؛ فمنزلة الكتابة عندهم " لا يفوقها سوى منزلة أمراء الجيش، إذ كانوا هم عمدة الدولة في إنشاء التهنئات بالنصر وتقليد الوظائف ومكاتبات العمال والأمراء"[3].

لقد إزدان العصر الحمادي بنشاط كبير في ميدان الترسل وضروب النثر الفني، ومن أشهر كتاب هذه الفترة نذكر ابن الربيب التيهرتي وابن العالمي البجائي وابن الرشيق المسيلي، وأبو حفص عمر بن فلفول وابن دفرير وابن أبي الرجال التيهرتي وعبد الكريم النهشلي وغيرهم.

وأمام هذا العدد المعتبر من الكتاب نشير إلى أن جل نتاجهم ضاع ولم يصل منه إلاّ النزر القليل* " ولو وصلنا بصفه واضحة لأمكننا الوقوف عند

---

[1] عبد القادر قهلوز: قصيدة المنفرجة لأبن الجوزي دراسة وصفية تحليلية. مجلة المدونة. المجلد الخامس. العدد الثاني. 2018. ص 520-521.

[2] عبد الملك مغشيش: النثر المغربي في القرنيين الرابع والخامس الهجريين. أطروحة دكتوراه علوم. جامعة باتنة. كلية الآداب واللغات. 2014- 2015. ص78.

[3] نفسه. ص157.

* يعود سبب ضياع هذا النتاج الأدبي للخراب الذي طال المنطقة مع الحملات الهلالية.

شتى صنوفه وفنونه، والظروف التي قيل فيها، ومنه تتبدد الغيوم التي تحول دون فهم قسم وافر من أدب المنطقة"[1]

وأمام هذا الشح الكبير الذي عدّ سمة بارزة في كتب الأخبار والسير التي أرَّخت للأدب الجزائري خلال العهد الحمادي، وخصوصا فيما تعلق بميدان الترسل وضروب النثر الفني، يتحفنا صاحب الخريدة بنصين نثريين الأول لابن دفرير والثاني لأبي القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن العالمي[**]، وهذان النصان يعدان من أهم نصوص الفترة الحمادية.

يعدّ أبو عبد اللّه محمد الكاتب معروف ابن دفرير(المتوفى بعد547هـ) أحد كتاب الدولة الحمادية، المتصرفين في الكتابة السلطانية في عهد سلطانها يحيى بن العزيز الحمادي[2]، وقد أورد صاحب الخريدة رسالة كتبها عن سلطانها يحيى بن العزيز الحمادي حين سقوط الدولة، وقد فرّ من مدينة بجاية أمام عسكر عبد المؤمن يستنجد ببعض أمراء العرب بتلك الولاية، وهذا نصها:" كتابنا ونحن نحمد اللّه على ما شاء وسرّ، رضىً بالقسم وتسليماً للقدر، وتعويلاً على جزائه الذي يجزي به من شكر، ونصلي على النبي محمد خير البشر، وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بحر، وبعد :فإنه لما أراد اللّه أن يقع ما وقع، لقبح آثار من خان في دولتنا وضبع، استفز أهل موالاتنا الشنآن، وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون، ورموا من حيث لا ينصرون، فكنّا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء، ويفرّ من صلّ خبيث الى حيّة صماء، حتى

[1] السابق. ص75.

[**] لا نعرف تاريخ وفاته ولا تاريخ ميلاده سوى أنه كتب هذه الرسالة في عهد الحماديين، وقد وقع تصحيف فيما ذكره الأصفهاني ونقله رابح بونار (العالمي) والصحيح في اسمه (القالمي) بالقاف، ينظر المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية. صيدا-بيروت. ط1. 2006. 180.

[2] العماد الأصفهاني. خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء المغرب. ص179.

بغت مكرهم، وأعجل عن التلاقي أمرهم، ويرد وبال أمرهم إليهم، فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة، وملنا الى مظنة الأمنة، وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة، ونستنفر من كنّا نراه للمهم عدّة، وأنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر، وتُثنَى عليه الخناصر"[1].

يقوم نص ابن دفرير على فكرة محورية وهو الاستنجاد ببعض القبائل الهلالية، وفي الآن نفسه يعتذر عن هزيمة الحماديين أمام الموحدين مبررا هذه الهزيمة بخيانة من وضعت فيه الثقة فتنكر لها[2]، ولعل ما يلحظه المتلقي لهذه الرسالة - على الصعيد الفني - أن ابن دفرير قد اعتمد على أسلوب السجع في صياغتها، والسجع كما لا يخفى علينا كان خاصية فنية امتاز بها كتاب الدولة الحمادية.

والأسلوب ذاته سلكه أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن القالمي، الذي أورد له صاحب الخريدة نصا ترسليا له، لما عرف به قائلا: " من كتاب الدولة الحمادية، له من رسالة :ولما كنت في مضمار سلفك جارياً، ولنا موالياً، وفي قضاء طاعتنا متباهياً، رأينا أن نثبت مبانيك، ونؤكد أواخيك، ونوجب لك ولخلفك، ما أوجبه سلفنا لسلفك، تمييزاً لهم عن الأكفاء، ومجازاة لهم على محض الصفاء والولاء، فاستدم هذه النعمة العظيم خطرها بالشكر فأنت به جدير، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور"[3].

[1] السابق. ص180.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص230.

[3] العماد الأصفهاني. خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء المغرب. ص181.

فهذه الرسالة لا تختلف في أسلوبها عن أسلوب رسالة ابن دفرير حيث امتاز ابن القالمي" في رسالته هذه بالسجع الخفيف، وبالألفاظ السهلة البليغة وبالاقتباس من القران"[1].

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص231.

المحاضرة السادسة الأدب في عهد المرابطين(447 - 540هـ)

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها

ينتمي المرابطون إلى قبيلة لمتونه إحدى فصائل صنهاجة، أعظم القبائل البربرية[1].

اشتهرت دولة المرابطين باسم دولة الملثمين، كان مستقرها بأعماق الصحراء "في تلك المنطقة التي كانت تسمى منذ أيام الرومان إقليم موريتانيا"[2].

يعود ظهور المرابطين لعبد الله بن ياسين الجزولي، الذي جاء به الأمير اللمتوني يحيي بن إبراهيم الكدالي من القيروان أثناء عودته من مناسك الحج ليعلم قومه تعاليم الدين، ونظرا لتشدد عبد الله بن ياسين هَجَرَهُ اللمتونيين، وأعرضوا عن إرشاده[3]، فما كان منه إلاّ أن هجر موطنهم وتعمق في الصحراء، وانعزل في ربوة على مصب نهر السنغال، وقرر إنشاء رباط تربوي لتعليم الذين أقبلوا عليه من كل حدب وصوب، وقد عرف هؤلاء باسم المرابطين، الذين بفضلهم تأسست " هذه الدولة سنة 434هـ -1042م، وفتحوا بلاد الصحراء والمغرب الأقصى وانتصروا على بلاد الأندلس، وكان استفحال ملكهم على عهد الأمير يوسف بن تاشفين عامل لمتونة ورافع عماد الدولة المرابطية"[4].

بتولى يوسف بن تاشفين إمارة المرابطين، قام بإنشاء قاعدة جديدة لملكه، فكانت مدينة «مراكش» (454هـ) على حساب العاصمة القديمة

---

[1] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس. ج2. ص299.

[2] نفسه. ص299.

[3] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص181- 182.

[4] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج1. ص405.

«أغمات»، ثم توجه لإتمام فتوحاته في المغرب، كان بين المرابطين والحماديين تنافس كبير ومناوشات عدة على زعامة المغرب الأوسط، وفي سنة 473هـ زحف يوسف بن تاشفين نفسه بجيشه فغزا مملكة الجزائر، وافتتح عدة أماكن كتلمسان، وهران، تنس، جبال ونشريس، الشلف، ودخل متيجة حتى وصل إلى أسوار مدينة الجزائر فردته عنها حصونها، فرجع إلى عاصمته مراكش وترك واليا على تلمسان وأصبحت أعمال الجزائر الغربية كلها بيد المرابطين[1].

بقيت تلمسان تحت حكم المرابطين حتى دخلها الموحدون سنة 540هـ، وقد نالت تلمسان على عهد المرابطين استقرارا اجتماعيا وسياسيا لم تحظ بهما في عهودها السابقة[2].

ثانيا: في أدب الإمارة.

اهتم المرابطون بالنشاط العلمي اهتماما كبيرا، وكان النصيب الأوفر من اهتمامهم منصبا -معظم أيام دولتهم -على تشجيع الحركة الفقهية، حتى نال الفقهاء منزلة لم يبلغها غيرهم[3]، وفي هذا الصدد يقول صاحب المعجب عن ولاية أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين " واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء(...) فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما"[4].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، ونحن نتحدث عن الأدب الجزائري خلال حكم المرابطين، أن نؤكد أن فترة قيام الدولتين الحمادية

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج1. ص408. وينظر أيضا مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص282.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص167.

[3] نفسه. ص233.

[4] عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص130.

والمرابطية كان متزامنا -مع فضل السبق للحماديين -وأن الدولتين قضى على وجودهما الموحدون، وبما أن الدولتين متزامنتان فإن ما ذكرناه من أدباء جزائريين خلال حكم الحماديين هم في الآن نفسه أدباء جزائريون عاصروا حكم المرابطين، علما أن كتب السيرة والتراجم في حدود علمنا لم تفرد لنا ذكرى أديب واحد في تلمسان إبان السيطرة المرابطية عليها.

وقد يكون لهذا الشح مبرره إذ كان جل اهتمام الناس يومئذ بالمصنفات الدينية - سيرا على خطى الأمراء المرابطين - على حساب التصانيف الأدبية. ومن أبرز العلماء الجزائريين خلال هذا العهد نذكر:

-عبد الله بن محمد الأشيري(ت561هـ).

إمام أهل الحديث والفقه والأدب بحلب خاصة والشام عامة[1]، من أهل أشير" فاق جميع علماء الشام وحلب علما ومعرفة وقد تسابق الناس في الأخذ عنه، وتفاخر الوزراء والملوك بمجالسته والاسترشاد بعلمه وأرائه[2].

-ابن الرمامة(478 - 567هـ)

أبو عبد اللّه بن علي المشهور بابن الرمامة، من مواليد قلعة بني حماد سنه 478هـ، ارتحل إلى الأندلس طلبا للعلم ثم عاد إلى فاس وتولى قضاءها، من مؤلفاته تسهيل المطلب في تحصيل المذهب وكتاب التفصي عن فوائد التقصي، وأخيرا كتاب التبيين في شرح التلقين[3].

-الحسن بن علي التيهرتي(501هـ).

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان. ج1. ص203.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ج1. ص17.

[3] رابح خدوسي: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. منشورات الحضارة. (دط). 2014. ج1. ص59- 60.

هو العلامة اللغوي الحسن بن علي بن طريف التيهرتي من أئمة علماء الأندلس وكبار أساتذتها في القرن الرابع الهجري، أخذ عنه القاضي عياض[1] وغيره ، لما صرح قائلا: " وأخذ عنه جماعة أصحابنا وجماعة شيوخنا، ودرست عليه كثيرا من كتب النحو والأدب، توفي 501هـ"[2].

-يوسف الورجلاني(500 - 570هـ).

هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، مؤرخ مفسر من أكابر فقهاء الإباضية، من أهل ورجلان مولدا ووفاة، رحل في شبابه إلى الأندلس وسكن قرطبة طلبا العلم، شبهه الأندلسيون بالجاحظ -انتقل إلى المشرق ثم عاد إلى مسقط رأسه خدمة للعلم، توفي بمسقط رأسه سنة 570هـ، من مؤلفاته: تفسير القرآن في سبعين جزءا ، والعدل والإنصاف في أصول الفقه في ثلاثة أجزاء، والقصيدة الحجازية وصف فيها رحلته للحجاز[3].

[1] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج1. ص415.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص59.

[3] نفسه. ص 341-342.

المحاضرة السابعة: الأدب في عهد الموحدين (نحو 515 -674هـ)

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها

يعود فضل تأسيس هذه الإمارة لمحمد بن عبد الله المعروف بابن تومرت الملقب بالمهدي*، بمدينة «تينمل»** في المغرب الأقصى بين أحضان قبائل مصمودة التي كانت ترى نفسها أحق بزعامة العالم الإسلامي من أهل لمتونة المرابطين[1].

استطاع ابن تومرت لما سافر إلى المشرق طلبا للعلم أن يتبنى حركة دينية تهدف إلى إنشاء خلافة إسلامية، تقوم على الأمر " بالمعروف ناهيا عن المنكر، داعيا إلى تخليص العقيدة من شوائب الشرك والزيغ عن التوحيد الخالص(...) ودعاء أصحابه بالموحدين تعريضا بخصومة المرابطين وطعنا في عقيدتهم"[2].

استمر ابن تومرت في حشد أنصاره والمؤيدين لدعوته، واجتهد في القضاء على دولة المرابطين في المغرب الأقصى، فبايعه أتباعه بالإمارة سنة 516هـ، وبقي شأنه يعلو إلى أن توفي سنة 524هـ، وبوفاته بويع عبد المؤمن بن علي التاجر ***الكومي الذي كان من أخلص أتباع ابن تومرت[3].

بعد أن تولى عبد المؤمن زمام الحكم في مراكش أخذ يوسع رقعة ملكه، حيث بسط نفوذه على المغرب الأوسط فاستولى على تلمسان ثم على

---

* أصبغ أبن تومرت على حكومته لقب المهدي، اقتفاء منه لأثر الفاطميين قبله الذين نجحوا في تأسيس دولتهم تحت صيغة المهدوية. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2. ص290.

** **تينمل** مدينة مغربية تاريخية، تبعد 100 كلم جنوب شرق مدينة مراكش.

[1] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2. ص290.

[2] نفسه. ج2. ص290.

*** يعد عبد المؤمن من الشخصيات الجزائرية وأصله من مدينة ندرومة.

[3] نفسه. ج2. ص290- 291.

الجزائر و بجاية وقسنطينة، ثم تابع زحفه نحو الديار التونسية حيث خلصها من فوضى القبائل الهلالية[1]، وطهّر سواحلها " من النورمان، ثم جاز إلى الأندلس واستولى على مدنها من أيدي بقايا المرابطين ومن أيدي الأسبان أيضا"[2].

هكذا، تأسست دولة الموحدين، وكانت عاصمتهم مراكش، ولم يعرف المغرب العربي - والقول لمبارك الميلي - دولة أحسن إدارة وأرقى معارف وحضارة من دولة الموحدين[3].

تولى حكم الموحدين بعد وفاة عبد المؤمن سنة(558هـ) عدة حكام كان آخرهم محمد بن يعقوب الملقب بالناصر، وقد كانت ولايته بداية لضعف دولة الموحدين حيث " منيت بهزيمة قاسية في معركة العقاب سنه 609 هـ على أيدي النصارى راح ضحيتها الكثير من جند الموحدين وعجلت بسقوط الأندلس في أيدي الفرنجة، أصيب الناصر بالمرض وتوفي سنة 610هـ (...) وسرى الضعف في أرجاء الدولة حتى سقطت سنة 668هـ"[4] على يد المرنيين.

ثانيا: في أدب الإمارة.

ما إن تمكن الموحدون من إرساء دعائم حكمهم حتى نهضوا بما نهض به أقرانهم العباسيون والفاطميون من نشر العلوم والمعارف المتنوعة[5]، منها

---

[1] محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. ص64.

[2] عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط2. 1985. ج5. ص360.

[3] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص305- 305.

[4] محمد بن رزق الطرهوني. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. ط1. 1426هـ. ج1. ص86.

[5] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. 335.

الفلسفية والدينية واللّغوية والأدبية والعلمية. وأصبحت مراكش أيام ازدهار الحضارة الموحدية مدينة علم وفكر وفن وأدب، تضج بأعلام كبار في كل فن، وقد ساعدت على ازدهار الحركة الفكرية أيام الموحدين هجرة العلماء وأقطاب الفكر العربي وخصوصا من الأندلس[1] التي شهدت نزوحا كبيرا من قبل هؤلاء العلماء على اختلاف توجهاتهم المعرفية، ولم يكن القطر الجزائري بمعزل عن هذه النهضة الثقافية، بل كانت عدة مناطق فيها مراكزا للإشعاع الثقافي كتلمسان وهران وبجاية وقسنطينة، وغيرها من المناطق التي نبغ فيها العديد من كبار الفقهاء والمحدثين والعلماء والكتاب والشعراء.

هذا، وقد كان لهذا الاحتكاك العلمي الذي وقع بين الجزائريين وأعلام الثقافة المهاجرة من الأندلس الذين استوطنوا تلمسان وبجاية أثره العلمي البارز وخصوصا لما بدأت المدن الأندلسية تتساقط الواحدة تلوى الأخرى في يد الأسبان " فأخذوا يتسللون أفواجا نحو المغرب، وكان حظ الجزائر منهم كبيرا فاستقبلتهم بلادنا بصدر رحب، فأفادوا بمواهبهم وثقافتهم اللامعة أسواق العلم والأدب، فراجت رواجا لم ير من قبل"[2].

1 -الشعر.

لقد كان لهذا الامتداد الثقافي أثره الواضح في الحقل الأدب الجزائري نثرا وشعرا إذ أحرز الشعر تقدما من حيث الكيف إذ تنوع في أغراضه وأسلوبه، فظهرت في هذه الفترة الموشحات، وتقدم من حيث الكم إذ نبغ عدد لا بأس به من الشعراء الذين نظموا في نصرة المذاهب السياسية

[1] محمد القاضي: النهضة الفكرية والأدبية في عصر الموحدين بالمغرب. ينظر الموقع الإلكتروني:
http://alwaei.gov.kw/volumes/554/langAndLit/Pages/nahda.aspx

[2] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص66.

كمذهب الموحدين وفي المدائح النبوية وفي الابتهالات الإلهية وفي الأغراض الشخصية[1]، ومن أشهر هؤلاء الشعراء نذكر:

-ابن الاشيري (المتوفى بعد 569هـ).

أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب، المعرف بابن الأشيري، أديب كاتب شاعر عارف بالقراءات، ولد بتلمسان ونشأ بها، ثم انتقل إلى الأندلس قبل سنة 540هـ، لم تذكر كتب السير والتراجم تاريخ وفاته، من مؤلفاته: مجموع في غريب الموطأ، ونظم اللآلي وهو كتاب في التاريخ[2]، كان لابن الأشيري نظم حسن منه هذه القصيدة التي قالها في غزوة السبطاط التي خاضها الخليفة الموحدي الإمام أبي يعقوب يوسف سنة 569هـ، والتي منها هذه الأبيات[3]:

دارَتْ رَحَا الهالكَاتِ بالسِّبْطاطِ ... وَسَطا بها رَيْبُ الزَّمـان السّاطِي
وأُهِين فيـــها الشّركُ أيَّ إهانةٍ ... شـفعت كرية هِـياطِها بمياطِ
إن لم تَقُمْ فيهـــا قيامةُ مُلكِهم ... فلـقد رأوا جُمَـلا من الأشرَاط
وأصارها وَطءُ الـــجيادِ هشيمة ... ســـودآءَ مُعتَـبرا لعينِ الوَاطِي
....
جيشٌ من العُرْبِ الذين إذا غزوا ... كوَوْا الأعـاجم في الطُّلاّ بِعِلاط
قوم إذا شمخ العنادُ بأنـــــفه ... وضعوا السّيوف مواضع الأسواط

يتراء لنا الشاعر من خلال هذه الأبيات مبتهجا بانتصار الخليفة على أعداء الاسلام وقد وفق في وصف وقائع المعركة وأجاد في تصوير انهزام الأعاجم وانكسارهم أمام قوة العرب وعنادهم، والأكيد أن الشاعر قد تغنى

[1] السابق. ص66.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص16.

[3] ينظر صفوان بن ادريس: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر. نشر وتهذيب عبد القادر محداد. بيروت . 1939. ص 60. ومحمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص72.

في أكثر من قصيدة بهذا الانتصار التاريخي لكن شعره ضاع ولم يصلنا منه إلاّ هذه القصيدة وبيتين أخرين ذكرهما صاحب زاد المسافر في مدح الخلفية[1].

-الأمير أبو ربيع سليمان(ت 604هـ)

أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي، أمير وابن أمير وحفيد خليفة عظيم، أديب، شاعر، كان فصيحا بالعربية والبربرية، ولد أغلب الظن في بجاية سنة 532هـ، وكان أبوه واليا عليها، وبها نشأ وتعلم، ثم عين واليا عليها، توفي سنه 604هـ[2]، لأبي الربيع ديوان شعري اسماه نظم العقود ضم فيه أغراض تقليدية متعددة كالمدح والوصف والرثاء والعتاب والزهد والألغاز غيرها، ومن النماذج التي نستدل بها على شعره، قوله في فتح الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي يوسف، ابن أمير المؤمنين، مهنئا له بفتح مدينة قفصة[3]:

هبت بنصركم الرياح الأربع وجرت بسعدكم النجوم الطلع
وأتت لعونكم الملائك سبقا حتى لضاق بها الفضاء الأوسع
واستبشر الفلك الأثير تيقنا أن الأمور إلى مرادك ترجع
وأمدك الرحمن بالفتح الذي ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بدلت في مرضاته نفسا تفديها الخلائق وأجمع

إن مجموع هذه الأبيات في الأصل مجتزأة من قصيدة طويلة مدح بها الشاعر كما أسلفنا الخليفة أبا يوسف، وهذه الأبيات في حقيقتها تنم عن شاعرية فريدة لاحتوائها على جميع عناصر الإبداع " من صدق القول

[1] صفوان بن ادريس: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر. ص 59.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص220- 221.

[3] سليمان بن عبد الله الموحد الأمير أبي الربيع: الديوان. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي وآخرون. منشورات كلية الآداب. جامعة محمد الخامس. ص20.

والتجربة، وجمال الصياغة وفصاحة اللغة وجمال التشبيه وحتى ذكاء الفكرة"[1].

-محمد بن حماد الصنهاجي(548 - 628هـ)

أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، مؤرخ، شاعر، أديب، قاض، مضطلع بعلوم اللغة والفقه والحديث، نشأ ببرج حمزة (قرب البويرة) وتعلم في قلعة بني حماد وبجاية وتلمسان، دخل الأندلس وتولى فيها القضاء، توفي في مراكش سنة 628هـ[2]، له عده مؤلفات منها: كتاب في أخبار ملوك بني عبيد -الفاطميين، وكتاب النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة، وكتاب لخص به تاريخ ابن جرير للطبري، وكتاب في شرح لمقصورة ابن دريد ... ، ومن شعره هذه القصيدة التي نظمها في رثاء قلعة بني حماد بعدما قضى عليها الموحدون سنة 547هـ[3]:

أين العروسان* لا رسم ولا طـــــلل فأنظر تر ليس إلا الســـهل والجبل
وقصر بلارة** أودى الزمـــــان به فأين ما شاد منـــــه السادة الأول
قصر الخلافة أين القصر من خرب غير اللـــــــجين وفي أرحابها زحل
وليس يبهجني شيء أســـــــر به مـــــن بعد أن نهجت بالمنهج السبل
وما وراء الكوكب العلوي معتصم وقد عرا لكوكب التغيير والندل
وقد عفا قصر حماد فـــــليس له رسم ولا أثر باق ولا طـــــــــــلل
ومجلس القوم قد هب الزمان بـــه حادثٍ قل فيه الحادث الجـــــــــلل

---

[1] السعيد بخليلي. الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. ص11.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص197.

[3] ينظر: عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج2. ص334 و مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص262.

* من القصور التي أنشأها الناصر بن علناس في قلعة.

** من القصور التي أنشأها الناصر بن علناس في قلعة.

وإن في القصر قصر الملك معتبـــرا لمن تغر به الأيام والـــــــــــدول
وما رسوم المنار إلا ماثلـــــــــه لـــــــكنها خبر يجري به المـــثل

إن الشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن قصور أسلافه الحماديين الدارسة، ويندب معالمها ورسومها الفانية، فلم يعد وجود للعروسين ولا لقصر بلارة، وكل القصور امحت واختفت ولم يبق لا رسم ولا أثر، وحتى المصلى الذي كان يلحق بالقصور اختفى ولم يبق منه سوى بقايا أطلال، وهذا الشعر كما يرى محمد الطمار " جيد السبك، جمع بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ويدل على ملكة قوية في الوصف، ونلمس فيه حبا جما"[1] وحنينا عارما للوطن.

ونشير، هنا، أن الشاعر في هذه المرثية لم يكن معاصرا للحماديين "وإنما رثى ملكهم وهو في رحلة سياحية إلى تلك الديار الدارسة فتذكر أمجاد أجداده الذين أسسوا القلعة وقصورها"[2].

-حسن ابن الفكون ، (حيّ أوائل القرن السابع الهجري 602هـ).

هو أبو علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني، الشهير بابن الفكون، شاعر المغرب الأوسط في وقته من أهل قسنطينة[3]، لا نعرف عن تاريخ ميلاده ولا وفاته شيئا على وجه التحديد، سوى أنه كان حيا سنة 602هـ،

خلف ابن الفكون ديوانا شعريا بحسب ما أشار إليه الإخباريون أصحاب التراجم والسير، لكنه ضاع وما وصلنا منه الاّ بعض القصائد

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص77.

[2] السعيد بخليلي: الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. ص25.

[3] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص253- 254.

والمقطوعات في مدح ولاة بني عبد المؤمن في بجاية، ورحلة نظمها في سفره من قسنطينة إلى مراكش سنة 602هـ ضمنها ذكر المدن التي مر بها[1].

وستكون لنا معه وقفة تفصيلية في محاضرة مستقلة نوضح من خلالها أبعاد تجربته الشعرية وجماليتها.

-محمد الأريسي الجزائري(أواسط القرن السابع الهجري)

أبو عبد اللّه، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأريسي الجزائري، المعروف بالجزائري، من كبار أدباء الجزائر* في أواسط المائة السابعة[2]، قال عنه الغبريني " كان حسن النظم والنثر، مليح الكتابة حسن الوراقة في البطاقة، وكان سهل الشعر، وكان كثير التجنيس يأتيه عفوا من غير تكلف، ولأجل ذلك حسن نظمه(...) إن طال في الشعر أعرب، وإن اقتصر أعجب"[3].

نظم الأريسي في أغراض شتى، لكن شعره ضاع ولم يصلنا منه سوى ما ذكره الغبريني، حيث أورد له أربع قصائد ونتفه فيما مجموعه خمسون بيتا كلها في الغزل والنسيب، كما كانت له كأهل عصره موشحات لكنها لم تصلنا أيضا، ومن نظمه، قوله[4]:

لعلك بعـــد الهجر تسمح، يا بدرُ بوصـــــل فقد أروى بمهجتي الهجرُ
أبيت كما ترضى الكآبة والأسى وأضحي كما تهوى الصبابة والفكرُ
إذا قنــطت نفسي ينادي بهاالرجا رويدك كـــــم عسر على أثره يُسْرُ

---

[1] الغريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. تحقيق عادل نويهض. منشورات دار الأفاق الجديدة. بيروت. ط2. 1979. ص334

* لم يذكر الغبريني شيئا عن تاريخ ميلاده ووفاته، واكتفى بالقول أواسط القرن السابع الهجري.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص15.

[3] الغريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص337.

[4] نفسه. ص338.

وان ذكرت يـــوم الفراق تقطّعت علائق آمال يـــــــــرحمّها الذكرُ
ولا أنس يوما للســــــــرور وبيننا عتاب كبرد الماء لكـــــــنه الجمرُ

يتراء لنا الأريسي في هذه الأبيات متذللا لمحبوبته أن تسمح له بالوصل تخفيفا لآلام البعد والهجر، وإنه بسبب هذا البعد يبيت محزونا ويضحى مفكرا مهموما، لكن الرجاء يناديه أن لا يقنط فبعد العسر يسر، وأمام هذا الأمل المنبعث يتذكر الشاعر أيام اللّقاء مع صاحبته وكيف كان يوم سرور وبهجة، بالرغم مما شابه من شظايا عتاب كالجمر[1].

وفي قصيدة أخرى لا تقل حسنا عن الأولى، نجده يقول[2]:

أهل الحمى هل لكم عن قصتي خَبَرُ وإن ليلي بـــــــليلي كله سَهَرُ
وفي ضـــــــــلوعي نيران يضرّمها دمع على صفحـات الخد ينهمرُ
لما رأيت بدور الحـــــــــيّ سافرة عن النـــقاب بدا لي أنه السفرُ
ولا عـــــــــــوامل إلاّ من قدودهم ولا صـوارم إلا ما انتضى الحورُ
سألـــــتك اللّه يا حادي المطي بهم رفـــــقا عليّ لعلّ الصدع ينجبرُ
عرج عـــــــــليّ فلي قلب يميل إلى حـديث من قتلوا منا ومن أسروا
وأنت، يا ســعد، إن غنت ظباؤهم فقف تعاين فؤادي كيف ينفطر

في هذه القصيدة يعرض الإدريسي " قصته على أهل الحمى؛ وأن حبه ليلي يشغف قلبه حتى ليبيت مسهدا، وفي ضلوعه نار ما تزال توقد جذوتها دموعه المنهمرة على صفحات خده، ورأى بدور الحي سافرة فعرف أنها تستعد للسفر، وتراءت له قدودهن كأنها أسنة رماح تصيب قلوب الرجال(...) ويسأل حادي المطي أن يرفق به لعل الصدع الذي أحدثته صاحبته في فؤاده ينجبر،

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص179.

[2] الغريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص339.

كما يسأله أن يميل بالركب عليه، فقلبه يتمنى لو سمع حديث من قتلن منهم ومن أسرن"[1].

استطاع الأريسي من خلال هذه القصائد القليلة التي وصلتنا أن يبين شاعرية فذة راقية جدا، والفضل في التعريف به وبإنتاجه يعود للغبريني الذي ترجم له وذكر أشعاره، فلولاه ما وصلنا عن خبره شيئا.

-التدلسي الجزائري (خلال القرن السابع الهجري)

أبو عبد اللّه محمد بن يحي بن عبد السلام، أصله من تدلس، وسكن بجاية، برع في الأدب، له علم بالتاريخ وله حظا من الفقه، ولى القضاء في بعض أكوار بجاية[2] ، لم يذكر الغبريني تاريخ ميلاده ولا وفاته واكتفى بأنه من القرن السابع دون تحديد دقيق.

سجلت كتب الأدب للتدلسي شعرا صافي الديباجة، جامعا بين السلاسة والمتانة والسهولة[3]، منه قوله[4]:

ولو لم ينبني غير أني أحـــــبه سعدت بذاك القدر عمري ولا أشقَى
كفى بي عزا أنه لي ســـــيّدٌ وإنّـــــــــــي عبد لا أريد له عتقا
وما لي والعتق المكدر عيشتي رضيت بأن أبقـــــــى لمن شفَّني رِقا
فلم يبق مني غير نفـــس رقيقة تميل لأن أهوى من الـــحسن ما رقا
يخالط مني الروح حتى كأنني أرى مخَّ عظمي في الهوى يرى قد دقا

والقصيدة طويلة سار فيها الشاعر على نهج المتصوفين في وصف لوعة النفس العاشقة، واشتياقها للقرب من الحبيب والاستماع بجماله "وقد تجلى

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص 180.

[2] الغريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 341.

[3] محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري. ص72.

[4] الغريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص341 وما بعدها.

واضحا تحكم الشاعر في لغة الرمز الصوفي ومعانيه في دروب المحبة الالهية (...) ومن السهل على القارئ أن يستلهم بيسر تأويلات المعاني، حيث يتسامى الشاعر المتصوف بمقاصده عن المقاصد الشكلية الظاهرة"[1].

-عمارة بن يحي بن عمارة (المتوفى بعد 585هـ).

أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، له علم وأدب وفضل ونبل، تولى القضاء في بعض نواحي بجاية، كان متقدما في علم العربية والأدب، له تأليف في علم الفرائض منظوم، وله تواشيح في غاية الحسن[2].

يذكر الغبريني أن له ديوانا شعريا، لكنه لم يطلع عليه، وقد اكتفى في مقابل ذلك بذكر بعض من شعره، منه هذه القصيدة التي قالها في مقام الأسر للوالي الجديد فتلقاها الوالي بالقبول[3]:

سلام كعرف المندل الرطبة في الجمر وإلاّ كما هب النسيم على الزهر
فلله درّ مقلتين بعبرة تعبّر فوق الخد عن كامن السر
وقد راعني إيماض برق بذي الغضا كما ابتسم الزنجي عن بهج الثغر
بدا لي أن الليل أوْرى زناده ولا نار إلاّ نور برق له يسري
ونار بأكبادي أكابد حرّها وقلب سليم قلّب في لظى جمر

وفي ذكر مناسبة هذه القصيدة يقول الغبريني أن بني غانية لما ثاروا على الموحدين واستولوا على بجاية، عينوا عمارة بن يحي بن عمارة قاضيا عليها، لكنه وقع في أيدي الموحدين أسيرا من بعد استرجاعهم لبجاية، وجيء

[1] السعيد بخليلي. الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. ص35.

[2] الغريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص45.

[3] نفسه. ص 47.

به مصفدا، وبقي معتقلا مع أصحابه إلى أن كتب هذه القصيدة للوالي الجديد، طلبا للصفح والعفو.

وعليه، فإن هذه القصيدة تندرج ضمن أدب الاستعطاف الذي راج عند المشارقة والمغاربة على حد سواء، وقد وفق الشاعر في تحقيق مبتغاه ونال رضى الوالي وعفوه، أما من الناحية الفنية فإن ما يلحظ على أسلوب الشاعر أنه "يهتم بالبديع ويطلبه طلبا"[1].

-النثر.

كما سبق وأشرنا إلى أن اهتمام الموحدين بتنشيط الحركة العلمية انعكس بالإيجاب على الجانب الثقافي في فترة حكمهم، ولم تكن الجزائر - بحكم خضوعها لسلطانهم - بمعزل عن هذا الازدهار الثقافي، إذ نبغ فيها الكثير من أعلام النثر الفني، والدليل على ذلك أن أغلب الشعراء الذين أشرنا إليهم آنفا كانوا إلى جانب قرض الشعر كتابا، لكن الإشكال أن كتب السير والأخبار لم تحفل بتقصي النصوص النثرية التي كتبها الأدباء الجزائريون خلال فتره حكم الموحدين*، بل وأكبر من هذا، لم تحفل بالتعريف بهؤلاء أصلا، باستثناء ما أورده الغبريني صاحب الدراية لما عرف بهؤلاء العلماء والأدباء وبنصوصهم الشعرية والنثرية على حد سواء، ومن بين النصوص التي ذكرها الغبريني؛ وصية لابن نعيم الحضرمي المتوفى بقسنطينة سنة 636هـ، وفيها يقول:

"هذا ما أودع العبد اللّهَ الذي خلق الأشياء، ورزق الأحياء، وملك العالمين، وحفظ السموات والأرضين، أودعه جميع ولد أبيه وأهله وأهل أخيه وجميع ما خولهم من نعمة ظاهرا وباطنا، وصير ذلك إلى أمانته، وأسلمه إلى

[1] السعيد بخليلي. الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. ص37.

* باستثناء ما خلفه لنا محمد بن محرز الوهراني صاحب المنامات، إذ عد الكتاب المعروف باسم منامات الوهراني أحد النصوص المؤسسة للأدب العجائبي في الأدب الجزائري القديم.

رعايته، واستحفظه في ذلك كله، وتبرأ إليه من حوله وقوته، ولم يرج سوى فضله، وهو الحفيظ الذي لا يهمل، الوكيل الذي لا يغفل، الجواد الذي لا يبخل"[1].

تعد هذه الوصية واحدة من آلاف الوصايا التي كان أهل الصلاح يكتبونها تضرعا لله ليرعى ذريتهم وأهليهم، وما استودعوه من أموالهم صيانة للورثة والمال، وما يلحظ على ألفاظه هذه الوصية أنها منتخبة دون تكلف ولا تصنع إلاّ ما جاء عفوا من دون قصد[2].

أما عن كتّاب الرسائل الديوانية فقد أشار الغبريني إلى أن محمد الوغليسي -دون أن يحدد تاريخ ميلاده ولا وفاته واكتفى بالقول خلال القرن السابع -كان أحد كتاب بعض الولاة في بجاية، حيث يقول لما ترجم له -دون ذكر رسائله -" عليه كان المعتمد في وقته في المخاطبات السلطانية إنشاء وجوابا (...) وولي الخطابة بجامع القصبة المحروسة في بجاية، وكان فصيح القلم واللسان بارع الخط"[3].

أما الشيء الذي يحسب للنثر الجزائري القديم خلال فتره حكم الموحدين هو ظهور فن المنامات والمقامات على يد محمد بن محرز الوهراني(ت575هـ).

لقد كان الوهراني أديب صناعة الإنشاء، بارعا في الهزل والسخرية، نشأ في وهران، وبعدها رحل إلى المشرق، تولى الخطابة في جامع داريا بنواحي دمشق، وظل في تلك الوظيفة حتى توفي سنة 575هـ[4].

---

[1] الغبريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص332.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والامارات. ج10. ص220.

[3] الغبريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص282.

[4] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص305.

اشتهر الوهراني بكتابة المنامات والمقامات كما خلف الكثير من الرسائل والفصول الهزلية، ويعدّ المنام الكبير النتاج الأبي الذي حقق له شهرته وذياع صيته بين الكتاب، حيث يقول ابن خلكان مشيدا به " وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه (...) ولو لم يكن فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوته ولولا طوله لذكرته..."[1].

استطاع الوهراني من خلال مناماته أن يقدم لنا نصا رمزيا مشبعا بالدلالات والرموز من خلال المزج بين الواقع والخيال والممكن بالمستحيل والوعي باللاوعي، والمعقول باللامعقول، بواسطة سرد تجري أحداثه في العالم الآخر المتخيل، وضمن فضاء مكاني مفتوح يتلاشى فيه الزمن، ولا سيما أن كاتبه اتخذ من المنام قناعا اختفى وراءه لينتقد جوانب سياسية واجتماعية وأدبية وفكرية في عصره بكل حرية[2].

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت. ط1. 1971. ج4. ص 385.

[2] علاء الدين محمد رشيد: المنامات لون نثري في الأدب العربي دراسة في المنام الكبير للوهراني. مجلة جامعة تكريت. المجلد 19. العدد7. 2012. ص325- 326.

المحاضرة الثامنة الأدب في عهد الحفصيين (627 - 943هـ)

أولا/ في أدب قيام الإمارة وسقوطها

منذ موقعة العقاب بالأندلس سنة 609هـ، اضطرب ملك الموحدين وآذنت أيامهم بالذهاب، وكان لخروج ولاة النواحي الأثر الكبير في إضعاف الدولة، فتفككت حينئذ وحدة الشمال الإفريقي وظهرت فيه ثلاث إمارات دولة بني حفص شرقا ودولة بني مرين غربا ودولة بني زيان بالأوسط، وكل واحدة من هذه الدول تريد بسط نفوذها على إرث الموحدين[1].

ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي، أحد أتباع المهدي ابن تومرت، والقائم بأعمال الموحدين بتونس، وقد استمر ولاء الحفصيين للموحدين حتى كان عهد أبو زكريا يحيى الأول(625 - 647هـ)، وبتولي أبي زكريا يحيى أمور الحكم حتى أعلن أبو حفص استقلاله (634هـ)، وأسس دولة استخلفت الدولة الموحدية في المنطقة[2].

اتخذ الحفصيون تونس عاصمة لملكهم، وأمتد نفوذهم نحو الغرب في الأراضي الجزائرية حتى مقاطعة قسنطينة(628هـ) والجزائر(636هـ)، وجزء من مقاطعة وهران، بعد أن تم الاستيلاء على تلمسان سنة(640هـ)، حيث أجبر يغمراسن على الدخول تحت طاعته[3]، " وكانت العاصمة الحفصية بالجزائر بجاية إلى أن أكثرت زناتة الغارات على بجاية، فصارت الأهمية إلى قسنطينة"[4].

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج2. ص382.

[2] ينظر الموقع الالكتروني: https://www.marefa.org

[3] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج2. ص12.

[4] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص89.

ولم تزل الدولة الحفصية حاكمة للمغرب الأدنى وجزءا من المغرب الأوسط إلى أن داهمها الشقاء ونخر عظامها الخلاف والافتراق، فكانت عرضة لطمع الأجانب في الاستيلاء عليها، بدءا بهجمات الصليبيين الذين انتصروا على المسلمين في الأندلس(910هـ)، وانتهاء بالدخول العثماني سنة 981هـ، الذي قضى على الوجود الحفصي الذي حكم المغرب الأدنى مدة 334 سنة منها 315 سنة بالجزائر[1].

ثانيا: في أدب الامارة.

كانت إمارة الحفصيين من أعظم الدول الإسلامية وأقواها، وقد سبق الحفصيون بني زيان وبني مرين إلى التحضر والتمدن، واستغلال التراث الحضاري الذي خلفته دولة الموحدين[2].

ولم يقتصر اقتفاء الحفصيين لمعالم الحضارة الموحدية، بل نهجوا أيضا سبيلهم في تشجيع الحركة الثقافية تشجيعا عظيمًا، ومما ساهم في هذا الازدهار الهجرات الواسعة التي قام بها اللاجئون المسلمون من الأندلس، حيث حملوا معهم كل العلوم والفنون الموجودة في الأندلس مما جعل من الحفصين الورثة الشرعيين لعلومهم وآدابهم.

هذا، ولم تكن الأراضي الجزائرية بمعزل عن هذا الازدهار الثقافي والعلمي، إذ تبوأت الجزائر الحفصية مكانة مرموقة في مجال الثقافة، حيث كانت كل من بونة وقسنطينة وبسكرة وبخاصة بجاية منارة معرفية وحاضرة ثقافية بالمغرب الأوسط، وتشهد كتب التراجم و السير أن الجزائر الحفصية شهدت بروز العديد من العلماء، ومما يعضد هذه الرأي ما أورده الغبريني على لسان أبي علي المسيلي حين أشير له بالتفرد في العلم فأجاب

[1] ينظر: عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج2. ص 50-51، ومحمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص89.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص306.

قائلا: " أدركت ببجاية ما ينيف عن تسعين مفتيا ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي من يكون"[1]، فاذا كان هذا حال المفتين، فما ظننا - والقول لعبد الرحمان الجيلالي -بالأدباء والنحاة والمحدثين وغيرهم[2].

ومن على شرفة هذا الازدهار الثقافي، شهد الأدب الجزائري خلال فترة حكم الحفصيين نبوغ عديد الأدباء، لكن المشكل المطروح دائما هو ضياع هذا النتاج الفني، وما وصلنا منه يكون مشتتا في مختلف المصادر التاريخية والأدبية، أضف إلى ذلك التداخل الحاصل بين أدباء المرحلتين الموحدية والحفصية والزيانية، علما أن الأدباء آنذاك لم يكونوا يلتزمون رقعة جغرافية واحدة، بل كانوا يتنقلون مشرقا ومغربا ويتقاسمون الأرض ميلادا ووفاةً، مما يصعب نسبة الأديب لعصره.

ومع هذا فما يلحظ من خلال ما وصلنا من نصوص شعرية أو دواوين مجموعة، أن الشعر الجزائري خلال الفترة الحفصية بقي محافظا على ازدهاره ورقيه الذي كان عليه في عهد الموحدين، بل إننا لا نجانب الصواب إن قلنا إن بعض الأغراض كالتصوف والابتهالات الإلهية والموشحات قد ازدادت تطورا وازدهارا على ما كانت عليه في فترة الموحدين، والدليل على ذلك ما نجده مثبوتا في شعر محمد بن الحسن القلعي وابن الخلوف.

-محمد بن الحسن القلعي(ت 673هـ).

محمد بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي نسبة إلى قلعه بني حماد التي كان جده ميمون قاضيا بها، نشأ بمدينة الجزائر وأخذ عن علمائها، ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها، وبها برع واشتهر، توفي ببجاية سنة 673هـ،

[1] الغريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 36.

[2] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج2. ص45.

كان عالما بالأدب والنحو واللغة، بارع الخط حسن الشعر، من مصنفاته الموضح في علم النحو، وكتاب حدق العيون في تنقيح القانون وغيرها[1].

ذكر له الغبريني قصيدتين واحدة في الزهد والأخرى في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم -، فمن قصيدته التي مدح بها النبي عليه الصلاة والسلام، قوله[2]:

أمن أجل أن بانوا فؤادك مغـــــرمُ وقـــــلبك خفّاق ودمعك يسجمُ
وما ذاك إلا أن جسمك منـــــــجد وقلـــــبك مع من سار في الركب متهم
ومن قائل في نظمه متعجـــــــــبا وجـــسم بلا قلب فكيف رأيتم
ولا عجب أن فارق الجسم قلـــــبه فحيث ثوى المحبوب يثوي المتيم
وما ضرّهم لو ودعوا يوم أودعـــوا فـــؤادي بتذكار الصبابة يضرم
عساهم كما أبدوا صدودا وجفوة يعودون للوصل الذي كنت أعلم
واني لأدعـو الله دعوة مـــــــذنب عـــسى انظر البيت العتيق وألثم
فيا طول شوقـي للنبي وصحـــــبه ويـــا شد ما يلقى الفؤاد ويكتم
توهمت من طول الحـــساب وهوله وكثـــــرة ذنبي كيف لا أتوهم
وقد قلت حقا فاستمع لمقـــــالتي فـــــهل تائب مثلي يصيح ويفهم
وذلك في القرآن أوضح حـــــــجة ومـــــــــــا ثم إلا جنة أو جهنم
إليك رسول الله أرفع حـــــــاجت فـــأنت شفيع الخلق والخلق هُيَّم
فقد سارت الركبان واغتنموا المنى وإنـــــي من دون الخلائق محرم
فيا سامع الشكوى أقلني عثرتي فـــــــإنك يا مولاي تعفو وترحم
ويا سامعين استوهـــبوا لي دعوة عـــسى عطفه من فضله تتنسم
وهبني عصيت الله جـهلا وصبوة فمـن يقبل الشكوى ومن يترحم
وقد أثقلت ظهري ذنوب عـظيمة لـــــكن عفو الله أعلى وأعظم

[1] الغريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص67- 70.

[2] نفسه. ص70- 71.

وأختم نظمي بالصلاة مـــــرددا عـــــلى خير خلق اللّه ثم أُسلِّمُ

تتدرج هذه القصيدة المفعمة بالمعاني الروحية ضمن دائرة الشعر الزهدي، حيث كشف لنا القلعي من جهة عن كوامن نفسه شوقا وتوقا للنبي - صلى اللّه عليه وسلم -، ومن جهة أخرى أقر بتوبته للّه طالبا عفوه ومغفرته، ولا يخفى عن متلقي هذه القصيدة، أن يستشعر جمال مطلعها، والذي نهج فيه الشاعر " نهج القدماء، فقد استحضر الشاعر مطالع الشعراء في عصر صدر الإسلام وخاصة حسان بن ثابت وكعب بن زهير، وكذا التناص الظاهر مع زهديات أبي نواس"[1].

أما القصيدة الأخرى والتي كانت في الزهد؛ فقد أراد الشاعر من خلالها أن يسلك في نظمها طريقة أبي تمام ويقتفي أثره، حيث يقول في مفتتحها[2]:

الخُبْر أصدق في المرأى من الخَبَرِ ممهّد العذرَ ليس العين كالأثرِ
وأعملْ لأخرى ولا تبخل بمكرمة كل شـــــيء على حدٍ إلى قدر
وخل عن زمـــــن تخشى عواقبه إن الزمـــان إذا فكرت ذو غير
وكل حيّ وان طالـــــت سلامته يغتاله المـوت بين الورد والصدر

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات عدة معاني روحية في إطار نزعته الزهدية، كالحث عن العمل للآخرة، والتأكيد على القضاء والقدر، ثم التذكير بالموت، ومجموع هذه المعاني التي أشار إليها لا تضيف شيئا جديدا بقدر ما هي تكرير لما سبقه إليه غيره من الشعراء، وفي هذا يقول السعيد

[1] السعيد بخليلي. الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. ص28.

[2] الغريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص71.

بخليلي" فمعاني أبي العتاهية تتواتر إلى الذهن وأنت تطالع القصيدة، وحتى المطلع لا يخلو من قول أبي تمام في بائيته الشهيرة"[1].

-ابن الخلوف القسنطيني(ت 899هـ).

شهاب الدين أبو العباس أحمد عبد الرحمان بن الخلوف، شاعر، أديب، ناثر، أصل عائلته من فاس، ولد بقسنطينة سنة 829هـ، وانتقل به والده صبيا إلى الحجاز حيث أقام أربع سنوات ثم تحول إلى بيت المقدس حيث حفظ القرآن الكريم، وبوفاة والده سنة 859هـ انتقل إلى القاهرة ومنها إلى المغرب، حيث استكتبه المولى المسعودي بن عثمان حفيد أبي فارس الحفصي، توفي بتونس سنة 899هـ[2].

خلف ابن الخلوف تآليف كثيرة منها: تحرير الميزان لتصحيح الأوزان، ومواهب البديع في علم البديع، وجامع الأوزان في صيغ الأفعال، كما خلف لنا ديوانين شعريين تضمن الأول الأغراض التقليدية المعروفة من مدح ووصف ورثاء، وغزل وغير ذلك من الأغراض، أما ديوانه الثاني الموسوم بـ«جنى الجنتين» فكان في موضوع المدائح النبوية وموشحاتها والتي عادة ما ينهي قصائدها فيها بمدح آل بني حفص[3].

ولعل ما يحسب لابن الخلوف هو شعره النبوي الذي حلق به عاليا وسد نقصا في هذا الباب من الشعر الجزائري القديم[4]، ومن النماذج التي نستدل بها

---

[1] السعيد بخليلي. الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. ص29.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص134.

[3] ينظر: محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص99، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص143.

[4] السعيد بحري: الشعر في ظل الدولة الحفصية- دراسة تاريخية فنية- دار بهاء للنشر والتوزيع. الجزائر. ط1. 2009. ص209.

على شعر ابن الخلوف في مدح السلطان عثمان بن أبي عبد الله الحفصي قوله[1]:

ملك إذا هز الحسام بكـــــفه خرت لبارق رعده الخـــرصان*
لو فرقت عظمته وهـــــــبته في الناس لم يك باخـل وجبان
ويرى العواقب في صحيفة فكره فكأنما أفكـــــاره كهان
تعزى إلى الغيث السكوب هباته هيهات أين الـــغيث والطوفان
يصغي الزمـــــــان لأمره ولنهيه وتطيع الأنس لحكمه والجان
وتراه ما بين الأسنة ســــــافرا كـــالبدر دارت حوله الشهبان
أنت الإمام ومن عداك رعـــــية أنت المـــــقدم والورى أعوان

يستهل الشاعر هذه الأبيات بالحديث عن شجاعة ممدوحه في ميدان الحروب، ثم يمضي في مبالغاته معتبرا أن هباته وعزماته لو وزعت في الناس لم يبق بخيل ولا جبان، أما عن نفاذ بصيرته فإن تنبؤاته أفكار كهان، وإن هباته لتعزى إلى الغيث المنهمر، بل أين الغيث منها من الطوفان، وقد بالغ من تعظيم السلطان حتى أصبح الزمان يصدر عن أمره ونهيه، وأصبحت الإنس تطيع حكمه والجان، وإنه ليخوض الحروب بين السيوف والرماح بوجه مشرق كالبدر تحف به النجوم الساطعة، وفي البيت الأخير يجعل منه الإمام المقدم وأن جميع من حوله رعية وخدم وأعوان[2].

ومما قاله، أيضا، في مدح السلطان عثمان[3]:

إمامٌ بـــراه الله أولى عباده بحق وأهداهم لأوضح حـــجة
تومَّل نُعماه ويخشى انتقامه لطالب سلم أو لـــطالـب فتنة

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص144- 145.

* الخرصان: السيوف يريد سيوف الأعداء.

[2] نفسه. ص145.

[3] نفسه. ص143.

يصول ويحمي شرعة نبوية بسُمْرٍ رشـــاق أو بـيض جلية*
له دولة أربت على كل دولة بتـــــأييد آراء وتـأييد نُصرة
يحن إلى المعروف حتى ينيله كما حن مشتاق بوصل الأحبة

نلحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يعلي من شأن ممدوحه، من خلال تعداد عدة خصال يرى أنها متأصلة فيه فهو في نظره " إمام اختاره الله لرعيته(...) وإنه ليوزع نعماه وعطاياه على طلاب السلم المطيعين، بينما ينزل نقمه على طلاب الفتن العاصين، وإنه ليحمي الشريعة النبوية ويذود عنها بالرماح والسيوف، وإن دولته تسمو على كل الدول بالآراء الصائبة، والانتصار الساحق، وإنه يصبو دائما إلى بذل المعروف (...) كما يصبو المحب إلى وصل محبوبته"[1].

أما عن الأشعار التي نظمها في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم - فنجد قوله[2]:

دعاه في ليلة المعراج خالقه لحضرة حضرت فيها السعـــــــــــادات**
وسار مـــــــن فرشه فوق البراق إلى عرش أحـــــاطته للباري عنايات
وكان قاب قوســين أو أدنى حين خاطبه في مشهد رفعت عنه الحجابات
وشاهد الله جهرا واصطــفاه بما لم تـــــــــحوي تعبير معناه العبارات

يصف ابن الخلوف في هذه القصيدة التي اجتزأنا منها هذه الأبيات حادثة معراج النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات العلا، متناصا في صياغته للحادثة بتفاصيلها وعبرها بما ورد في القرآن الكريم.

* السمر: الرماح، البيض: السيوف.

[1] السابق. ص144.

[2] ابن الخلوف: ديوان جني الجنتين في مدح الفرقتين. تحقيق: العربي دحو. دار هومة. الجزائر. (دط). 2004. ص330.

**السعادات: ما كلف به الرسول صلى الله عليه وسلم من العبادات.

ومن مدائحه النبوية أيضا، ما نظمه في توسله بالنبي - صلى الله عليه وسلم - كي يغفر الله له ذنوبه، قائلا[1]:

يا أرحم الراحمين ارحم وجد كرما فأنت أنت أمان الخائف الوجل
واغـــــــفر بطه ذنوبا ليس يغفرها إلاك يا غـافر الأوزار والخطل
ونجني وأعـــــــف عني وأتني منحا تنيلني الفوز في حـــل ومرتحل
وسامح المسلمين المؤمنين وجـــــــد بالعفو عما جنوا بالقول والعمل
وصل رب على المختار مـــــن مضر خير النبيين والأملاك والرسل
روح العوالم ســـــر الكون أجمعه إكسير كنز المعالي علة العلل
عليه صـــلى إله العرش ما اتضحت آيات شمس الضحى دارة الحمل

في هذه الأبيات يتوجه الشاعر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - طالبا منه الوسيلة كي يغفر الله له ذنوبه وآثامه، سائلا رب العزة النجاة والفوز مقيما ومرتحلا، كما يسأل الله الصلاة على نبيه لأنه روح الوجود وسر الكون وإكسير المعالي وعلة العلل في الوجود جميعه[2].

وعلى الجملة، فإن ما يمكن قوله في هذا السياق، أن ابن الخلوف استطاع من خلال ما تضمنه ديوانه من قصائد ومقطوعات أن يكشف لنا عن صوت جزائري " يكتظ بالعفوية والسلاسة وصفاء التعبير ويجمع بين الرقة والمتانة، وكأنما يستمد من معين لا ينضب (...) دون أن يكلفك أي عناء في فهم لفظة أو عبارة"[3].

هذا، أما في الجانب النثري فيطالعنا من أشهر أعلام الجزائر الحفصية في النحو أبو الحسن زين الدين أبو زكريا يحي عبد المعطي بن عبد النور الزواوي (ت628هـ)، وفي التوثيق نجد أبا القاسم عبد الرحمان بن محمد بن

[1] ابن الخلوف: الديوان. المطبعة السليمية. بيروت. (دط). 1872. ص 140.
[2] ينظر شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص 214.
[3] نفسه. ج10. ص 146.

أبي بكر السطاح (ت629هـ)، وممن اشتهر في الفقه الإمام الفقيه أبو عبد الله بن حجاج بن عبد الله بن يوسف السكات (ت641هـ)، وممن اشتهر بالحديث الشيخ أبو عبد الله محمد بن القاسم بن منداس الأشيري الأصل(ت643هـ)، وممن اشتهر بالتاريخ نجد الفقيه أبا زيان ناصر بن أحمد بن حسن بن عبد المعطي بن الحسن بن مزني الفزازي البسكري(ت 823هـ)[1]، وغيرهم كثير، لكن الاشكال دوما أن كتب السير والتراجم والأخبار تكتفي بذكر أسماء وتغفل إيراد نصوصهم، وحتى وإن وجدت نصوص فهي قليلة لا تعكس حجم الانتاج الثقافي في ذاك العصر من عصور الجزائر قديما.

[1] ينظر محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 91 وما بعدها.

المحاضرة التاسعة : الأدب في عهد الزيانيين (633 هـ - 962 هـ)

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها

تنسب هذه الدولة إلى قبيلة بني عبد الواد - إحدى قبائل زناتة الكبرى - التي اشتهرت بالشجاعة في الحروب، والحنكة في السياسة، والإخلاص في الولاء، إذ كانوا خير عون للموحدين لما فتحوا المغرب الأوسط سنة 539هـ، فكافؤوهم على ولائهم بإقطاعهم المناطق الجنوبية لوهران التي أصبحت وطنا لهم، بعد أن عاشوا شوطا طويلا في الترحال وعدم الاستقرار في صحراء المغرب الأوسط[1].

كان بنو عبد الواد في عهد قوة الموحدين يدينون بالولاء لهم، ولما لمسوا ضعفهم وشاهدوا استقلال الولايات عنهم، انفصلوا بالمغرب الأوسط وجعلوا تلمسان عاصمة لهم[2]، وكان ذلك سنة 633هـ على يد يغمراسن الذي يعدّ المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية.

شغلت الدولة الزيانية إقليم المغرب الأوسط - الجزائر حاليا - وقد عمل حكامها على توسيع حدودها، وتثبيت قواعدها، وضم القبائل إلى سلطتهم، وقد امتدت " مملكة الجزائر الزيانية غربا إلى مدينة تاوريرت التي هي اليوم داخل التراب المغربي على بعد 136 كيلومتر غربي وجدة، وتبلغ في بعض الأحيان شرقا إلى قسنطينة ودلس وبجاية، وهي في ذلك تسير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها على منافسيها ومزاحميها"[3] من حفصيين شرقا ومرنيين غربا.

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص279 -280.

[2] نفسه. ص280.

[3] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج2. ص132.

تعد فترة حكم الزيانيين -والتي تجاوزت الثلاثة قرون -أطول عصور القطر حكما، إذ لم تصل دولة من الدول السالفة إلى هذه المدة، وبالنظر إلى قوة الدولة الزيانية وضعفها خلال مدة حكمها فإننا نستطيع أن نميز بين عصرين[1]:

1 - **العصر الأول: عصر الاستقلال والقوة**

يبدأ باستقلال يغمراسن بحكم تلمسان سنة 633هـ وتنتهي بموت أبي حمو موسى الثاني سنة 791هـ.

2 - **العصر الثاني: عصر الضعف والانحطاط**

يبدأ بموت أبي موسى الثاني سنة 791هـ وينتهي بسقوط الدولة الزيانية سنة 962هـ.

وعن ضعف الزيانيين وسقوط حكمهم يقول محمد الطمار " ولكن هذه الدولة كغيرها خضعت لحكم الزمان، فدخلت في التدهور إلى أن أجهز عليها الاحتلال الإسباني الذي طلبه بعض سلاطينهم مما دفع الشعب إلى السخط عليهم، وفتح طريق الحكم للأتراك الذين كانوا في نظرهم أحسن مدافع عن القضية الإسلامية"[2].

ثانيا: في أدب الإمارة

إذا كانت الحياة الثقافية قد شهدت في العهدين الحمادي والموحدي نهضة شاملة بانتشار مختلف العلوم والفنون، فإن الفترة الزيانية تعد مرحلة اكتمال ونضج لهذه العلوم[3]، ومما ساهم في ازدهار الحركة الثقافية في هذا العصر الطويل الذي يزيد عن الثلاثة قرون هو التنافس الحفصي والزياني

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص289 -305.

[2] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص107.

[3] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص309.

والمريني على " استقدام العلماء إلى بلاطهم، والتجمل بهم في مجالسهم والاستنارة في معارفهم"[1].

لقد أصبحت تلمسان، والحال هذه، خلال فترة حكم الزيانيين حاضرة من أعظم حواضر العلم والمعرفة بالعالم الإسلامي، حيث نبغ فيها الكثير من العلماء والأدباء والشعراء، وقصدها العديد من طلاب العلم من مختلف جهات العالم العربي، وقد أعان على هذا النضج الثقافي فيها[2] الاحتكاك الأدبي الذي وقع بين مثقفيها وأعلام الثقافة المهاجرة وبخاصة مهاجري الأندلس الذين استوطنوا تلمسان وبجاية وقسنطينة[3].

لقد كان لهذا الاحتكاك الثقافي -إلى جانب شغف الحكام بتشجيع الحركة الثقافية -أثره الواضح على الإنتاج والإبداع، وهو ما فسح "المجال لنبوغ طائفة كبيرة من أعلام الثقافة في القرون الثلاثة(7 -8 -9)"[4].

ومن على شرفة هذا الازدهار الثقافي الذي بلغت فيه العلوم بمختلف أنواعها قمة نضجها نجد أن الفنون الأدبية بجنسيها شعرا ونثرا، قد ارتقت وتطورت تطورا محسوسا من حيث الكم ومن حيث الكيف، مع تسجيل ملاحظة أن أدب الجزائر الزياني " تأثر في هذه الفترة بأدب المشرق وأدب الأندلس دون أن يفقد شخصيته الجزائرية وما لها من مميزات"[5].

1 -الشعر.

---

[1] السابق. ص310.

[2] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص109.

[3] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص310.

[4] نفسه. ص311.

[5] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص123- 124.

شهد هذا العصر إلى جانب الموضوعات التقليدية من مدح وغزل ورثاء وهجاء وغيرها ، ظهور موضوعات أخرى جديدة كبكاء الشباب، والقصة الشعرية، وشعر الفروسية كما يبدو في شعر أبي حمو، وظهور التصوف الفلسفي عند ابن خميس والششتري، وانتشار المولديات والمدائح النبوية عند أبي حمو ويحي بن خلدون، وأخيرا نزعة الزهد والتشاؤم[1] لدى عديد الشعرء. ومن أبرز شعراء هذا العصر نذكر:

-ابن خميس (650 -708هـ).

أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري التلمساني، ولد حوالي650هـ وتوفي بغرناطة قتيلا سنة 708 هـ. كان شاعرا فحلا يمتاز شعره بغرابة الألفاظ والسرد القصصي والروح الصوفية وإضافة إلى سمة التشاؤم الغالبة عليه[2]، وستكون لنا معه وقفة تفصيلية في محاضرة مستقلة نوضح من خلالها أبعاد تجربته الشعرية وجماليتها.

-أبو حمو موسى الثاني(723 - 791هـ)

أبو حمو موسى الثاني بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، أحد ملوك الدولة الزيانية، ولد في غرناطة سنة 723هـ، وانتقل إلى تلمسان في سنة ولادته، حيث نشأ بها ودرس على أشهر علمائها[3]، ولما تولى السلطنة برز كأحسن كاتب في السياسة السلطانية حيث ألف كتاب «واسطة السلوك في سياسة الملوك»[4] الذي أودع فيه آرائه سياسية.

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص320- 321.

[2] نفسه. ص323.

[3] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص125.

[4] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص328.

كان أبو حمو شاعرا يحسن النظم، وقد احتفظ صاحب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد بالكثير من شعره، الذي كان موزعا ما بين وصف للحروب والمعارك وفخر ورثاء ومولديات، ومن النماذج التي نستدل بها - على سبيل التمثيل لا الحصر -قوله في إحدى مولدياته[1]:

حياتي وموتي في هواكم وإنني أعلل نفسي فيكم بالأماني
يا أهل نجد أنجدوني على الهوى فإني في بحر من الشوق لجيّ*
مقيم بأقصى الغرب أشكو به الجوى وحالي على حكم النوى غير مخفي
تناسيتم عهدي وحفظ مودتي وحبكم في القلب ليس بمنسي
وما ارتجي إلا شفاعة خير من أتى بالهدى يهدي بدين حنيفي**
به يرتجي العاصون غفران ذنبهم وما عملوا في الدهر من عمل سي***
بمولد قد أشرق الكون كله وكل سنا شمس وبدر ودري

ففي هذه المولدية يقر أبو حمو بحبه لذات النبي - صلى الله عليه وسلم - ويشكو في الآن نفسه شوقه إليه، وكله في ذلك أمل أن ينال شفاعته، وأن يغفر له الله وغيره من العاصين ما اقترفوه من آثام وذنوب.

أما في الفخر بانتصاره على المرينيين، فيقول[2]:

لقد نهضت بعون الله متكلا على الإله ومن يرجموه لم يخب
بعسكر لجب ضاق الفضاء به كالبحر أعظم من به عسكر لجب

---

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص211- 212.

* لجي: متراكم الأمواج.

** حنيفي:مستقيم لا عوج فيه.

*** سي: سيئ وحقق القافية.

[2] نفسه. ص155.

من كل ليث شجاع فارس بطل حـــامي الذمار من الأعاجم والعرب*
على سوابق خيل ضمّر عُـــرُب تزهى بـــــحليتها كالخرد العُرُبِ
بها وطننا بلادًا لا سبيل لهـــا وما أردنا تنـــــــاولناه من كثب

يفتخر الشاعر في هذه الأبيات بنصره على المرينيين بعد أن شن حربا عليهم مستعينا بربه متكلا عليه، وقد نازلهم بجيش ضاق الفضاء به، كأنه بحر زاخر بالليوث الشجعان يركبون خيولا صارمة نجيبة، تزهو بجمالها زهو المعجبات بحسنهن، وهذه الخيول بفرسانها ما وطئت أرضا إلاّ وخضعت لهم وانقادت إليهم[1].

وبهذا الأسلوب الجميل الرائع في التصوير سار أبو حمو في نسج قصائده ومقطوعاته.

-الثغري التلمساني(أواخر القرن الثامن الهجري)

أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري، شاعر، أديب، كاتب من أهل تلمسان، ومن أشهر شعرائها وبلغائها المقدمين لدى سلاطينها[2].

لم تذكر كتب السير والتراجم تاريخ ميلاده ولا سنة وفاته، ولم تشر أيضا إلى تكوينه الأدبي، "غير أن بيئته كانت تكتظ بالعلماء والأدباء، وكان من ترى فيه مخايل النبوغ الأدبي يختار للعمل في دواوين الدولة، واختير الثغري وأصبح كاتب الإنشاء لأبي حمو الثاني، كما أصبح شاعره الفذ الأول"[3].

* الذمار: الحمى وما يحميه من الأهل والولد. الخرد: جمع خريدة؛ الجميلة. كثيب: قريب.

[1] السابق. ص155- 156.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص92.

[3] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص139.

نظم الثغري في الغزل والوصف والرثاء، ولكن أغلب قصائده كانت في المديح بحكم ملازمته للبلاط الزياني، فمن مدائح الثغري لأبي حمو موسى الثاني قوله[1]:

يا إمام الهدى وشمس المعالي وغمام الندى وبدر النوادي
لك بين الملوك سر خفي ليس معناه للعقول ببادي
وكأن البلاد كفك مهما كان فيها ينتمي لعناد
لم تزل دائما تحن إليكم كحنين السقيم للعواد
قد أطاعتكم البلاد جميعا طاعة أرغمت أنوف الأعادي
فأريحوا الجياد أتعبتموها وأقرّوا السيوف في الأغماد

يشيد الثغري في هذه الأبيات بخصال ممدوحه فجعله إمام الهدى وشمس المعالي، وسحاب الندى وبدر هادي، ويستمر الثغري في مبالغاته حين يقر أن ممدوحه يختلف عن الملوك بسر خفي جعله محبوبا عند شعبه، ثم يشر عليه أن يريح جياده، ويرجع السيوف إلى أغمادها، ويعش هنيء البال لأن قوته أرغمت أنوف الأعادي[2].

ومن شعره في إحدى مولدياته قوله[3]:

مددت يدي يا ذا المعارج راجيا وأصبحت آمالي إليك حواديا
عسى جودك الفياض يدني وسائلي وينشِى من العفو العميم غواديا
ويفتح لي بابا إلى منهج التقى فألقى التداني يوم ألقى التناديا
لدى موقفا يوم الحساب وهوله يسوم الورى كرب يشيب النواصيا
هناك ينادى أشفع تشفع محمد وسل ما تشاء تعطى المنى والأمانيا

[1] الثغري التلمساني: الديوان. تحقيق: نوار بوحلاسة. مخبر الدراسات التراثيه. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر. 2004. ص50.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. 139- 140.

[3] الثغري التلمساني: الديوان. ص169- 170.

فينقذنا من ذلك الهول جـــاهـــه ويحجرنا عن زفـــــــرة النار واقيا

في هذه الأبيات نجد الثغري التلمساني يتوجه في جزئها الأول إلى الله سبحانه وتعالى مناجيا ومتضرعا طالبا العفو والمغفرة والصفح، وفي جزئها الثاني يتوجه بالخطاب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -متوسلا به طالبا شفاعته.

-التلاليسي(بعد 767هـ)

أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التلاليسي، طبيب، شاعر، أديب من أهل تلمسان، برع في الطب، فقربه السلطان أبو حمو موسى الثاني(760 - 791هـ) واتخذه طبيبا لنفسه[1]، لم تذكر المصادر التي أرخت له تاريخ ميلاده ولا سنة وفاته.

يعد ما وصلنا من منظوم التلاليسي شعرا جيدا يشهد له بطول الباع في قرضه القصائد التي قالها في كل المناسبات التي وقعت بقصر السلطان أبي حمو[2]، وبالإضافة إلى مدح السلطان وحاشيته نجد أن التلاليسي نظم الكثير من القصائد والموشحات في المديح النبوي وبخاصة المولديات التي كان الحكام الزيانيون معروفون بإحياء احتفال المولد النبوي، ومن مولدياته هذه الموشحة التي نظمها احتفالا بالمولد النبوي بين يدي السلطان في الثاني والعشرين من صفر سنة 762هـ، قائلا[3]:

يا ويح صب بان عنه الشباب ❖ وأودع ❖ لهيب وجد عندما ودعوا

أودى به الوجد وفرط الجوى

وهد منه الشيب كل القوى

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص63.

[2] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص185.

[3] يحي بن خلدون: بغية الرواد في الملوك من بني عبد الواد. تحقيق: بوزياني الدراجي. دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع. الجزائر. (دط). 2007. ج2. ص195 وما بعدها.

ولا له مما اعـــــــتراه دوا

من فقد الخلان مثلي وشاب ❖ ما ينفع ❖ إلاّ ليالي الوصل لو يرجع

آه لأيام الصبا لو تعـــــــود

كان بها قد لاح بدر السعود

ترى بها ريب الزمان يـــعود

وتنتهي بـ:

أهل تلمسان به آمنـــــــين

أكل وشرب وقرار معـــين

قال بها شخص من التائبين

لاش يحسدوني ويقول لي تاب ❖ إش يطمع ❖ أني كنترك عشقي أو نقطع

نظم التلاليسي في هذه الموشحة في ذكرى المولد النبوي المتزامنة مع الجيش الضخم الذي سار به السلطان لفتح الجزائر في الثاني والعشرين من شهر صفر من سنة 762 هـ، وما يلحظ على هذه الموشحة وغيرها من موشحاته تضمينها مقطعا مدحيا في السلطان إضافة إلى توظيف كلمات عامية، مثلما هو حاصل في خرجة هذا الموشح.

هذا، والإضافة إلى ما ذكرنا، فإن ما يميز شعر التلاليسي أيضا هو البكاء على الشباب والتلهف على أيامه الماضية، ومن ذلك قوله في هذه القصيدة التي نجتزء منها هذه الأبيات[1]:

أأصبو ورأسي بالمـــشيب غدا حالي وحال لذاك المشيب لما بدا حالي

وكيف لمثلي بـــــالتصابي وبالهوى وهل للتصابي أن يـــمر على بالي

وعني شبابـــي قد تولى وقد مضى فقلبي مـــــنه لا هنيء ولا سالي

علا مفـــرقي جيش المشيب فها أنا جـــــديد شبابي مذ ألم به بالي

[1] السابق. ص288- 289.

نفائس أنفاس الشباب قد انقضت ومالي من بعد الشبيبة من مالي

-عبد الله البسكري (ت 713هـ)

عبد اللّه بن عمر بن موسى البسكري، لم تذكر كتب الأخبار والسير شيئا عن مولده ونشأته باستثناء ما أورده ابن حجر العسقلاني لما قال: " قال القطب الحلبي، كان رجلا صالحا متواضعا مقصود الزيارة، وله نظم وكلام حسن مات في ثامن المحرم سنة 713هـ بالمدينة ودفن البقيع"[1].

لم يصلنا من شعر عبد اللّه البسكري سوى قصيدة واحدة في المدائح النبوية، أوردها محمد الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، وقد علق عليها أبو القاسم سعد اللّه بقوله: " وتحتفظ الوثائق بقصيدة نادرة في مدح المدينة المنورة(طيبة) قالها الشاعر الصوفي أبو محمد عبد اللّه بن عمر البسكري، وهي القصيدة التي أكثر الكتاب من تداولها والنسج على منوالها لجودتها وصدقها"[2] من أبياتها التي وصلتنا[3]:

دار الحبيب أحق أن تهواهـــــــا وتـــحن من طرب إلى ذكراها

وعلى الجفون متى هممت بـــزورة يا ابن الكرام عليك أن تغشاها

فلا أنت أنت إذا حللـــــت بطيبة وظللـــــت ترتع في ظلال رباها

معنى الجمال متى الخواطر والتي سلبت عقــول العاشقين حلاها

لا تحسب المسك الذكي كتربها هيهات أيـــن المسك من رياها

طابت فإن تبغ التطيب يا فـــتى فأدم على الســاعـات لثم ثراها

تندرج هذه القصيدة في إطار الشعر الديني وبالتحديد ضمن موضوع المدائح النبوية، التي كثيرا ما طرقها الشعراء الجزائريون ولاسيما خلال

[1] ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق: محمد عبد المعيد ختان. مجلس دائرة المعارف العثمانية. صيد أباد. الهند. ط2. 1972. ج3. ص59.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي. ط1. 1998. ج2. 245.

[3] محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف. مطبعة بيير فونتانه الشرقية. الجزائر. 1906. ج2. ص231- 232.

العهد الزياني، وعبد الله البسكري واحد منهم، وهذه القصيدة كما هي ماثلة أمامنا نظمها في التغني بدار الحبيب معبرا من خلال أبياتها عن حنينه وشوقه إلى ذكراها.

ولعل ما يميز شعراء الفترة الزيانية عن غيرها من الفترات الأخرى من حيث الكم هو كثرة عدد الشعراء الذين وصلتنا أسماؤهم أما نتاجهم الشعري فقد تباين بين كثرة وقلة، ومن هؤلاء الشعراء الذين وصلنا بعض من أخبارهم وأشعارهم نذكر على سبيل التمثيل:

- أحمد بن علي المليانى المتوفى سنة 715هـ.
- محمد بن عمر المليكشي الجزائري المتوفى سنة 740هـ.
- محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المتوفى سنة 636هـ.

وغيرهم من الشعراء، أما في التصوف فنجد:

- الحرالي التجيبي المتوفى سنة 638هـ.
- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الخطيب المتوفى خلال القرن 7هـ.
- الششتري أبو الحسن علي النميري المتوفى سنة(668هـ).

وغيرهم من الشعراء.

2 -النثر:

ازدهر نثر الجزائر الزيانية ازدهارا كبيرا، حتى أنه لم يكن نثرا واحدا، بل كان ألوانا متعددة، منه[1]:

-نثر الفقهاء: وهو نثر علمي يعمد إلى المعاني ولا يهتم بالأساليب البيانية ومثاله ما كتبه أبو عبد الله الشريف الونشريسي وغيره.

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص319.

-**نثر كتاب التراجم والمؤرخين**: وهو نثر يتوسط الأدبي والعلمي ومن نماذجه ما كتبه الغبريني في عنوان الدراية، وابن خلدون في بغية الرواد.

-**النثر الفني**: وهو ما نجم عن تجربه فكرية أو شعورية وتضمن التأنق في العبارات والجمل، ومما وصلنا في هذا النثر نذكر:

-**الخطب والوصايا**.

من الطبيعي أن تكثر الخطب والوصايا في الفترة الزيانية، والفضل يعود لصاحب بغية الرواد الذي ساق لنا طائفة من مشاهير خطبائها ووعاظها، و من أشهر هؤلاء نجد: عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي إمام الجامع الأعظم بتلمسان (كان حيا سنة 654هـ)، وأبا محمد عبد الله المجاصي المتوفى سنة 641هـ، وسعيد العقباني المتوفى سنة 811هـ خطيب الجامع الأعظم بتلمسان، لكن لأسف كل الأسف أن خطبهم ومواعظهم لم تصلنا[1].

هذا، ولم تصلنا الوصايا خلال فترة الجزائر الزيانية لا من حكامها ولا من شيوخها وعلمائها باستثناء وصية أبي موسى حمو الثاني لابنه أبي تاشفين*؛ وهي وصية طويلة استحالت إلى كتاب سماها «واسطة السلوك في سياسة الملوك»[2]، منها - على سبيل التمثيل -ما قاله لابنه من وصايا ترشد إلى تغليب العقل على الهوى، وتحض على ملازمة التقوى، ما نصه: " أعلم يا بني أن العقل راحة فأجعل عقلك راحة نفسك، وجالب أنسك، وأجعل العقل ميزان رأيك، والفكرة مرآة عقلك، وأعلم أن الدنيا متقلبة فلا تغتر بغرورها،

---

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. 225.

* نفسه. ج10. ص226.

[2] قسم الكتاب إلى أربعة أبواب وكل باب يتضمن بدوره عدة قواعد، الباب الأول: جعله في الوصايا والآداب والحكم التي ترشد إلى طرق الصواب، الباب الثاني جعله في قواعد الملك وأركانه وما يحتاج الملك إليه في قوام سلطانه، الباب الثالث خصصه للأوصاف المحمودة التي هي نظام الملك وجماله وبهجته وكماله، أما الباب الرابع فكان في الفراسة وهي خاتمة السياسة، ينظر: أبو حمو موسى بن زيان. واسطة السلوك في سياسة الملوك. مطبعة الدولة التونسية. 1862. فهرس الكتاب.

ولا تطمئن لسرورها، ولا تفرح لها إذا أقبلت، ولا تحزن عليها إذ أدبرت، يا بني إن الاغترار بالدنيا باطل، فاركب لها جواد الحق، وإذا أعطيت ما يفنى فاشتر به ما يبقى..."[1].

تعد هذه الوصية حثا لأبي حمو موسى الثاني لابنه على ترشيد العقل على الهوى وحضا على ملازمة التقوى، والأكيد أن ما يلفت النظر في هذه الوصية وما تحمله من نصح وإرشاد هو اعتمادها على السجع وضروب البديع ، وهي وإن دلت على شيء فإنما تدل على رقي النثر الجزائري خلال القرن الثامن الهجري بحيث أصبح الكاتب والقول لشوقي ضيف " يلائم بين الكلمات في السياق بحيث يأتي مع الكلمة بشقيقتها التي يحسن أن تصاحبها والتي تؤلف معها لونا من التجانس أو الجناس، حتى يروق السامع أو القارئ ويجذبه إليه"[2].

-الرسائل الديوانية والإخوانية

من غير المعقول أن تتأسس دولة دون أن يصدر عن حكامها رسائل ديوانية مختلفة، وهذا حال بني عبد الواد الذين أسسوا دولة الزيانيين بزعامة يغمراسن، فمنذ سنة 633هـ وبمجرد أن أسس يغمراسن ملك أسرته أسس فيها الدواوين، وأتخذ أديبا من أبرع الأدباء الأندلسيين كاتبا هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب الغافقي الذي يصفه صاحب البستان بأنه[3] " من أبرع الكتاب خطا و أدبا وشعرا ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه (...) ارتحل إلى تلمسان وكتب بها عن أمير المؤمنين يغمراسن بن زيان توفي سنة

[1] أبو حمو موسى بن زيان. واسطة السلوك في سياسة الملوك. مطبعة الدولة التونسية. 1862. ص7.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص226- 227.

[3] نفسه. ج10. ص231.

ستة وثلاثين وستمائة"[1]، وبوفاته خلفه ابن خميس الذي ظل يكتب له ولابنه عثمان الأول[2].

أما أبو موسى حمو الثاني فقد جعل - والقول لصاحب بغية الرواد - أبا عبد الله محمد بن هدبة منشئ الرسائل في ديوانه[3].

ونشير هنا، ونحن نورد أسماء الكتاب المتعاقبين على تولي دواوين الرسائل الديوانية للجزائر الزيانية، أنه تعذر علينا أن نحصل على نصوص هؤلاء الكتاب، لغياب المهتمين بتسجيلها فضاعت ولم تصلنا، وفي هذا يقول شوقي ضيف: " ونحن إنما نقف على كتاب الدولة الزيانية على أسماء، ولا نقف على كتاباتهم"[4] وهو ما فوت علينا فرصة استكناه بنيتها شكلا ومضمونا.

وليس هذا فحسب، بل إن ما يقال عن الرسائل الديوانية يقال أيضا عن الإخوانية، إذ ضاعت ولم تصلنا، باستثناء ما ذكره صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة الذي أورد رسالة لابن خميس ألحقها بقصيدته الصوفية التي مطلعها:

عجبا لها أيذوق طعم وصالها من ليس يخطر أن يمر ببالها

حيث يقول فيها " هذه، أمتع الله ببقائك، وأسعد بلقائك، وأراها بما تؤمّله من شريف اعتنائك، وترجوه من جميل احتفائك، ما تعرف به من احتذائك، وتعترف له ببركة اعتفائك، كريمة الأحياء، وعقيلة الأموات والأحياء، بنت الأذواء والأقيال، ومقصورة الأسرّة والحجال، بل أسيرة

---

[1] ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. المطبعة الثعالبية. الجزائر. (دط). 1326هـ- 1908م. ص227.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص231.

[3] يحي بن خلدون: بغية الرواد في الملوك من بني عبد الواد. ج1. ص127.

[4] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص131.

الأساوير والأحجال، على أنها حليفة آلام وأوصاب، وأليفة أشجان وأطراب، صبابة أغراب من صيّابة أعراب "[1].

وهي رسالة طويلة أخذنا منها هذا الجزء للتمثيل على أسلوبه في الكتابة والذي لا يخفى على أحد اعتماده المفرط على السجع وضروب البديع والتكلف، وهو ما يؤكد حقيقة أن تأنق الزيانيين في كتاباتهم يعكس تأثر ذوقهم واندماجهم "في الذوق الأندلسي الأنيق وأصبحنا بإزاء كتابة أنيقة عامة في الرسائل الشخصية والديوانية، وحتى في كتب التراجم"[2] بصفة عامة.

[1] لسان الدين بن الخطيب: الاحالة في أخبار غرناطه. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1424هـ. ج2. ص398-401.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص236.

المحاضرة العاشرة الأدب في العهد العثماني (962 - 1830)

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها.

خلال القرن التاسع وبداية العاشر الهجريين شهد شمال إفريقيا الخاضع للسيطرة الحفصية والزيانية والمرينية وهنا شديدا وضعفا كبيرا، فاستغل الإسبانيون والبرتغاليون هذا الوضع المتدهور والقلق واحتلوا الكثير من المراكز الاستراتيجية[1].

هذا، وكانت الجزائر أكثر المناطق عرضة للهجمات الاسبانية، حيث نزلوا سواحلها واحتلوا مراكزها الاستراتيجية، كالمرسى الكبير 1505، وهران 1509، بجاية 1515، وغيرها " أما الموانئ التي لم يحتلها الإسبان(...) فإن سلطاتها قد عرضت على الإسبان أن تدفع لهم ضريبة اتقاء شرهم"[2]، وقد كشفت هذه الغارات عن التدهور الشامل والضعف الكامل " الذي كان يسري في جسم المملكة الزيانية، إذ لم تقوَ على طرد العدو الذي داس أرض الوطن وحرمة البلاد"[3].

وخلال هذه الفترة التي شد فيها الهجوم الصليبي - الاسباني والبرتغالي - على الشمال الإفريقي، بعد قضائهم على دولة الإسلام والمسلمين في الأندلس، ظهر رجلان تركيان شهيران هما بابا عروج وخير الدين اللذان كان لهما فضل كبير في الوقوف " سدا منيعا دون الاستعمار الاسباني بالجزائر وتونس، كما وقف السعديون دون الاستعمار البرتغالي بالمغرب"[4].

---

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 335.

[2] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج3. ص 43.

[3] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 215.

[4] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 335.

منذ عام 1510م استطاعت البحرية العثمانية بطلب من الأخوين عروج وخير الدين مواجهه الإسبان والبرتغاليين، وقد استمرت الصرامات حتى عام 1518م، حيث تمكنت البحرية العثمانية من السيطرة على مدينة الجزائر وبقي الصراع بينهما " حتى عام 1529م حيث طرد الإسبان من الجزائر، وعدت الجزائر من ممتلكات الدولة العثمانية عندما أعلن خير الدين بربروسا تبعيته للدولة العثمانية"[1]، وقد بقيت الجزائر تحت الوصاية العثمانية إلى أن تم احتلالها من قبل الفرنسيين سنه 1830م*.

ونشير هنا أن الحكم العثماني للجزائر لم يكن حكما واحدا، بل كان مختلفا من حاكم لآخر وفقا للصلاحيات الممنوحة له من السلطة المركزية، وهذا الاختلاف حمل المؤرخين على تقسيم مدة حكمهم إلى خمسة أدوار، هي[2]:

1. **دور الفتح:** يبدأ من حكم بابا عروج وخير الدين من سنة 1515 م إلى 1546م وهذا الدور يمتاز بالتأسيس للجزائر العثمانية.
2. **دور الولاة/ باي البايات:** يمتد من سنة 1546م إلى 1587م، ويمتاز هذا الدور بقوة وعظمة الجزائر العثمانية.
3. **دور البشوات:** ويمتد من سنة 1587م إلى 1659م، وما يلحظ على هذا الدور هو تغيير نظام الحكم بعد التخلي عن باي البايات وتعويضه بالبشوات المحددة بثلاث سنوات .

---

[1] محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف. دار الكتب العلمية. بيروت. 2010. ص 15.

* لم ينتشر الحكم العثماني في كامل القطر الجزائر دفعة واحدة بل كان على مراحل زمنية مختلفة من منطقة لأخرى، فمثلا كان التواجد العثماني بمدينة الجزائر سنة 918هـ، وفي تلمسان سنة 959هـ، وفي قسنطينة وبجاية كان خلال سنة 962هـ، بينما أقاليم الصحراء والأوراس والزواوة فلم يكن متواجدا بها إلا ظاهريا حتى نهايته. ينظر جمال سعادنة: الشعر الجزائري في العهد العثماني. أطروحة دكتوراه العلوم. كلية الآداب واللغات. جامعة باتنة. 2010-2011. ص 11.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 336.

4. دور الأغوات: ويمتد من سنة 1659م إلى 1671م، وقد تميز هذا الدور بكثرة الاضطرابات.

5. دور الدايات: يمتد من سنة 1671م إلى 1830م ويمتاز باستقلال الجزائر عن الأستانة.

إنّ ما يلحظ على فترة الحكم العثماني للجزائر أنّ الأتراك لم يندمجوا في المجتمع الجزائري كاندماج الأندلسيين النازحين من الاضطهاد الاسباني[1]، وهذا مرده للسياسة التركية القائمة على إقصاء العنصر الجزائري واعتباره طبقة ثانية دون العنصر التركي، وهو ما انعكس سلبا على بنية المجتمع، لكن ما لا ينكره جاحد " أن من مآثر الأتراك عددا لا بأس به من المساجد والقصور والقلاع العسكرية والسدود والسواقي، وكان لرجال الدين والعلم حظوة لدى أولي الأمر، فكانوا دائما إلى جانبهم لاسيما وقت التعدي المسيحي"[2].

ثانيا: في أدب الإمارة

تعد فترة الجزائر العثمانية فترة ضعف وانحطاط ثقافي وعلمي، إذ كان معظم الأتراك الذين نزلوا في الجزائر رجال حرب وقتال، وسياسة، وكان اهتمامهم منصبا حول تثبيت أركان الدولة، وبناء قوتها الدفاعية لردع أعدائها، على حساب الاهتمام بتنشيط الحركة العلمية والأدبية[3]، والحق إن هذا الجمود والتردي ليس خاصا بالجزائر، بل إن معظم الأقطار العربية والإسلامية -الخاضعة لسيطرتها -تعيش حالة تخلف مماثلة[4]، وفي هذا يقول أبو قاسم سعد الله " ولو كانت الثقافة في بقية العالم الإسلامي حية

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 217.

[2] نفسه. ص 217.

[3] جمال سعادنة: الشعر الجزائري في العهد العثماني. ص 12.

[4] نفسه. ص 12.

نشيطة لاستفاد منها الجزائريون أيضا، لأن معظم علمائها كانوا يرحلون في طلب العلم إلى المعاهد الإسلامية"[1].

إن التسليم بأن الجزائر كانت تعيش جمودا وتعثرا علميا وثقافيا، لا يعني بأي حال من الأحوال انعدام حركة علمية وثقافية، إنما المقصود أن الواقع الثقافي لم يكن كما كان عليه في فترة حكم الزيانيين والموحدين والحماديين من ازدهار وتطور وإبداع.

ومهما يكن من أمر، فان المتمعن في البيئة الثقافية للجزائر العثمانية يجد بعض الرجال من أهل الثقافة زاولوا قرض الشعر وأصابوا منه بعض الشيء، وبعضهم الآخر عالج النثر وفنونه، وقد أحسنوا فيه الكتابة والتأليف[2].

أولا: الشعر.

برز في هذه الفترة من فترات الجزائر القديمة العديد من الشعراء "نظموا الشعر، واعتمدوا موضوعاته، وأغراضه التقليدية المعروفة، كالمدح، والرثاء، والوصف، والفخر... وغيرها من الأغراض التي جعلوها صدى لواقع عصرهم، فصورت تفاعلهم مع الأحداث، وتأثرهم بما يحيط بهم"[3]، ومن أبرز هؤلاء الشعراء نذكر:

-عبد الله المنداسي(ت 1088هـ).

أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي* الأصل، عاش بتلمسان في القرن الحادي عشر الهجري[4]، لم تذكر المصادر تاريخ مولده ولا حديثا عن أسرته

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج1. ص 19.

[2] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 225-226.

[3] جمال سعادنة: الشعر الجزائري في العهد العثماني. ص 29.

* منداس بلدة بمدينة غليزان.

[4] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص 68.

ونشأته، باستثناء ما ذكره محقق ديوانه من أنه التحق "ببلاط الرشيد العلوي وعاش تحت كنفه بسجلماسة، وبالمغرب اشتغل بتعليم مولاي اسماعيل مدة، وفي اثناء ذلك تقلب الشاعر بين فاس ومراكش"[1].

يعد المنداسي من فحول الشعراء واستطاع بموهبته الشعرية أن يجمع بين الشعر الملحون والشعر الفصيح. حيث تناول في اللونين الشعريين - الشعبي والفصيح -أغراضا تقليدية متعددة منها المديح، الغزل والتصوف والمدائح النبوية والموعظة[2] والوصف، ومن النماذج التي نستدل بها عن قريحته الشعرية، قوله في مدح النبي صلى اللّه عليه وسلم[3]:

هل رأيتم أو سـمعتم حسنا في الورى من حسنه الحسن اكتمل
أحمد المبعوث فينا رحمة خير من قام بحق وكفل
آية اللّه أمين صادق وحبيب اللّه بر منتضل

يتحدث المنداسي في هذه الأبيات عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - مادحا لحسنه، معليا لرسالته التي اصطفاه اللّه دون العالمين فهو - عليه الصلاة والسلام -" المبعوث رحمة للعالمين، أعظم من راعى الحقوق وأداها، آية اللّه الأمين الصادق وحبيبه البر المجاهد في سبيله"[4].

هذا، ولم يشذ المنداسي في شعره الصوفي عن المنهج الذي سلكه المتصوفة عموما في استعمال الرمز للدلالة على المعاني الروحية التي يقصدونها في تجاربهم الصوفية، ومما نستدل به في هذا السياق، قوله في الحب الإلهي[5]:

معشر العشـاق موتوا في الهوى إن موت العشـق أحلى من عسل

[1] سعيد المنداسي: الديوان. تحقيق رابح بونار. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. (دط). (دت). ص 06.
[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص 162.
[3] نفسه. ج10. ص 215.
[4] نفسه. ج10. ص 215-216.
[5] سعيد المنداسي: الديوان. ص 35-36.

لن تنالوا الوصـــل حتى تنفقوا مـــــن عـــزيز النفس إثر الأمل

....

أيها العذال إن صح الرضـــى مـــــن حبيب يبطل القول العمل

بأبي أفدي عيونا سهـــــرت في الهوى واستعذبت قرب الأجل

إن ما يلحظ على المفردات التي وظفها المنداسي في هذه الأبيات كالحب والعشق، والموت والوصل والعذل وغيرها أنها وإن ارتبطت بدلالات الحب الإنساني المحسوس، فإنها في دلالاتها العرفانية مرتبطة بأخرى روحية ينكشف فيها كل ما هو باطن وخفي.

-عبد الكريم الفكون (988هـ -1073هـ)

أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، ولد بقسنطينة سنة988هـ، حيث تلقى مختلف علوم عصره على أيدي شيوخ أجلاء، وبعد بلوغه درجة علمية ومعرفية تولى وظيفة التدريس في الجامع الكبير بقسنطينة، توفي سنة 1073هـ، مخلفا وراءه عديد المؤلفات منها: شرح لامية الجمل للمجراد السلاوي، وفتح المالك للإمام بن مالك، وكتاب في القراءات القرآنية[1]، كما خلف إلى جانب هذه المؤلفات وغيرها ديوان شعري في المديح النبوي، والحق إن الفكون -والقول لعبد الله أبو القاسم -لم يسم شعره في المديح النبوي ديوانا، وإنما سماه قصائد، أما الذي أطلق عليه اسم الديوان فهو العياشي الذي بفضله وصلتنا قصائد هذا الديوان

[1] محمد مرتاض: عبد الكريم الفكون من أعلام القرن العاشر الهجري. مجلة الفضاء المغاربي. ماي 2016. ص 5 وما بعدها.

الذي نقل منه حوالي مائة بيت في رحلته[1]، ومن النماذج التي نستدل بها على مديحه النبوي، قوله[2]:

أبدر بدتْ في الخافقين سعوده ونورا به الأكوان أضحت تلألأ
له في العُلا أعلى العلا رتبة وفي مراقي ذوي العرفان قدما مبدأُ
أضاءَ وجود الكائنات ببعثه وطلعته الغرا من الشمس أضوأُ
هوَ الغيثُ أحيا الأرض بعد مماتها وخاتم كل الرسل ثمت مبدأ

في هذه الأبيات يتغنى الفكون بشمائل ومناقب النبي -صلى الله عليه وسلم - وعلو مقامه بين سائر الخلق وذوي العرفان، فهو البدر الذي بنوره تتلألأ الأكوان، وبمبعثه أضاء الوجود إضاءة أَضْوء من نور الشمس وكيف لا يكون بهذا النور -يضيف الفكون - ومولده غيثا أحيا الأرض بعد مماتها.

ومن مدائحه، أيضا، قوله[3]:

أحبتنا إني كلفتُ بحب من لهُ العز قِدما والرسالة منصبُ
لدى نوره الأنوار تخبو وكيف لا ومنه استمدت والشواهد تكتبُ
أيا سيد أفاق النبيين كلها وبدر له فوق المراتب مرتبُ

إن ما يلحظ على معاني هذه الأبيات أنها لا تختلف عن الأبيات السابقة لها، مادام موضوعها واحد وهو مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - فالفكون في هذه الأبيات يجهر بحبه للنبي صلى الله عليه وسلم وتعدد مناقبه وشمائله فهو عليه الصلاة والسلام أهل للعز وجدير بالرسالة التي اصطفاه الله ليؤديها، إنه نور الأنوار وسيد النبيين وخاتمهم.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية. دار الغرب الاسلامي. بيروت-لبنان. ط1. 1986. ص 160.

[2] محمد العياشي: الرحلة العياشية. تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي. دار السويدي للنشر والتوزيع. أبوظبي-الامارات العربية المتحدة. ط1. 2006. ج2. ص 515.

[3] نفسه. ج2. ص 517.

-المقري التلمساني(986 -1041هـ)

أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ولد سنة 986هـ بتلمسان التي تتلمذ فيها على يد علماء عصره، ثم انتقل إلى مدينة فاس حيث تولى الإمامة في جامعها، وفي سنة 1027 هـ هاجر إلى مصر ثم قصد مكة حاجا، كانت له رحلات متعددة بين الشام والحجاز، استقر آخر أيامه في مصر حيث مارس مهنة التدريس وملازمة العلماء حتى توفي بها سنة1041هـ[1].

كان المقري كاتبا مجيدا وقد ترك مؤلفات عدة قاربت الثلاثين كتابا، وإلى جانب التأليف برع في قول الشعر حيث نظم في الكثير من الموضوعات الشعرية التقليدية من حنين إلى الوطن وغزل ومدح وإخوانيات ومدح نبوي وزهد وغيرها، ومن النماذج التي نستدل بها على تجربته الشعرية قوله في مدح لسان الدين ابن الخطيب[*]:

ليت شعري أي العبارات توفي واجب ابن الخطيب مما أروم
وأنا عاجز عن البعض منها لقصوري ومـــــا العي ملوم
وهو يدعى لسان دين وناهيـ ـك افتخارا به تتـــم الرسوم
فبأي العلى أحـــلى علا من نال فضلا روته عـــرب وروم

في هذه القصيدة التي اجتزأنا منها هذه الأبيات يعبر المقري عن تقديره فيها لابن الخطيب، وقد استهلها " بتمن ممتزج بالخجل من العجز والإخفاق الذي يراوده في نظمه، فعبارات أشعاره لا تهب ممدوحه ما يستحقه من الثناء والتنويه بما حازه من فضل روته العرب والروم"[2].

---

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 238 وما بعدها.

[*] المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي. بيروت-لبنان. (دط). (دت). ج1. ص 111.

[2] جمال سعادنة: الشعر الجزائري في العهد العثماني. ص 83.

ومما قاله في الزهد نجد[1]:

والعمر مثل الضيـــف أو الطيف ليس لـــه أقامهْ
والموت حتم ثم بعـــــــ د الموت أهـوال القيامهْ
والناس مجزيون عـــــن أعـمال مـيل واستقامهْ
فذووا السعادة يضحكو ن وغيرهم يبكي ندامهْ
واللّه يقـــــــــبل منهم مـــا شاء ذلاً أو كرامهْ

يؤكد المقري في هذه الأبيات على ضرورة الزهد في الدنيا وترك ملذاتها، وفي مقابل ذلك يحث على الاستقامة والعمل الصالح طمعا في نيل مرضات اللّه وغفرانه.

-عبد الرحمان الأخضري (1020 -1053هـ).

ولد عبد الرحمان الأخضري في بنطيوس إحدى قرى بسكرة سنة 1020هـ، وبها حفظ القرآن وتتلمذ على يد شيوخها ثم ارتحل إلى قسنطينة حيث أكب على حلقات شيوخها واستوعب كل ما أخذه عنهم من علوم كالمنطق والبلاغة والتصوف والأدب، ثم عاد إلى موطنه واشتغل مدرسا حتى وفاته سنة 1053هـ[2].

شغف الأخضري بنظم العلوم، فألف مجموعة من المتون يتدارسها الطلاب والعلماء شرقا وغربا، منها ما كان في الفلك، ومنها ما كان في الحساب وعلم الفرائض، ومنها ما كان في التصوف، كما نظم الأخضري تلخيص القزويني وسمى منظومته الجوهر المكنون في الثلاثة فنون، وغيرها من المؤلفات[3].

---

[1] المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ج1. ص27.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. 167-168.

[3] نفسه. ج10. ص 168.

يندرج شعر عبد الرحمان الأخضري ضمن نطاق الشعر التعليمي الذي "لا يخاطب وجدانا بل استخدمه للمعاني العلمية (بحيث) نجد فيه الحقيقة تسبق الخيال، والطبع يغلب التصنع والجزالة في غير ضعف ولا غرابة"[1]، ومن الشواهد التي نستدل بها على شعره، قوله[2]:

الحمد لله الذي قد أخرجنا نتائج الفكر لأرباب الحجا*
وحط عنهم من سما العقل كل حجاب من سحاب الجهل
حتى بدت لهم شموس المعرفة رأوا مخدراتها منكشفة
نحمده جلّ على بنعمة الإيمان والإسلام
من خصنا بخير من قد أرسلا وخير من حاز المقامات العلا
محمد سيد كل مقتفى العربي الهاشمي المصطفى

تعد هذه الأبيات مفتتح منظومة الأخضري في علم المنطق وقد سماها «السلم المرونق في علم المنطق » حيث بدأها -مثلما هي ماثلة أمامنا - بحمد الله، وتمجيد لأرباب العقل الذين أزاح الله عنهم ظلام الجهل " حتى ظهرت لهم شموس المعرفة، ورأوا مخدراتها (...) المستورة منكشفة، ويحمد الله على إنعامه بنعمة الإيمان والإسلام، وأن جعله من أمة محمد سيد المرسلين"[3]عليه الصلاة والسلام.

-الحوضي التلمساني (ت 910هـ)

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الحوضي التلمساني، لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده ولا ظروف تكوينه الثقافي باستثناء أنه ولد ونشأ بتلمسان، من كبار فقهاء المالكية، تعاطى الأدب فأصبح شاعرا لا يستهان

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 237.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص 168.

* الحجا: العقل.

[3] نفسه. ج10. ص 168-169.

به، من آثاره نظم في العقائد، توفي بتلمسان سنة910هـ[1]. من شعره هذه القصيدة التي رثا بها محمد بن يوسف السنوسي إمام الموحدين، والتي يقول فيها[2]:

ما للمنازل أظلمت أرجاؤهـــــا والأرض رجت حين خـاب رجاؤها
وأتى عليها النقص من أطرافها وتـــــراكمت وتعاظمـت أرزاؤها
رزء عظيم خطبه ومصيـــــــبه لم نـــــدر بالقوم كيـف عزاؤها
فقد السنوسي الإمام مـــــحمد وهو ابن يوسف هد منـها علاؤها
قد كان بحرا للمعـارف زاخرا فانزاح عنهـــا حين بـث غطاؤها
ودعا إلى التوحيد دعوة مخلص وإلى الشريعة فـــاستتـار ضياؤها
هذا الذي ورث النبي فأصبحت علل الضلال به أستـــفيد دواؤها
هذا الذي تبع الـــــنبي وصحبه فأنجاب عن سبل الهدى ظلماؤها

يرثي الشاعر في هذه القصيدة الطويلة التي أخذنا منها هذه الأبيات الإمام الموحدي محمد بن يوسف السنوسي، كتشخيص من الحوضي للحادثة التي حلت بالموحدين في فقدهم لإمامهم جعل المنازل قد أظلمت وأن الأرض قد رجت لهول المصيبة، وبعد هذا التصوير يسترسل الحوضي في ذكر مناقب الإمام وفضائله فهو -في نظره -بحر للمعارف ومن دعاة التوحيد ومن أتباع نهج النبي وسلفه الصالح.

-عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ)

محمد بن عبد الكريم المغيلي من علماء الجزائر أواخر عهد الزيانيين، ولد سنة 831هـ في عائلة مشهورة بالعلم والتقوى والتصوف، بدأ المغيلي

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص 129.

[2] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 233.

دراسته الأولى في مسقط رأسه مغيلة ثم انتقل إلى تلمسان حيث تعلم على يد علمائها العلوم اللغوية والدينية والعقلية والنقلية، وتوفي سنة 909هـ[1].

خلف لنا المغيلي العديد من المؤلفات شملت علوما عديدة منها: التفسير والحديث والفقه واللّغة وقد تجاوزت مصنفاته عشرين مؤلفا بين محقق وغير محقق[2]، وبالإضافة لهذا، خلف لنا قصائد شعرية، نورد منها -على سبيل التمثيل -هذه القصيدة في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم - والتي يقول فيها[3]:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمـم وهذه حضرة المختار في الحـــــرم
وهذه الروضة الغراء ظاهـــــرة وهذه القبة الخضراء كـــــالعلم
ومنبر المصطفى الهادي وحجرته وصحبه وبـــــــــــقيع دائر بهم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي يا من لـــــــقاصده أمن من النقم
وقد سعيت إلى أبواب حجرتكم ســــــعيا على الرأس لا على القدم

نظم المغيلي هذه القصيدة في رحلته للحج، وخلال زيارته لقبر المصطفى -صلى الله عليه وسلم - عبر من خلال هذه الأبيات عن سعادته في وقوفه بالروضة الشريفة، وقد أتبع فرحته هذه وهو بجوار المصطفى بث ندائه ورجائه في أن ينال شفعته، ويسعد فيمن أسعدهم الله في الآخرة.

[1] دريس بن خويا: الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي. مجلة الذاكرة. العدد 07. ماي 2016. ص 12 وما بعدها.

[2] نفسه. ص 18-19.

[3] باجي عبد العزيز وعبد الغفار بن هيمة: قراءة في مخطوط بشراك يا قلب للإمام عبد الكريم المغيلي: المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 13، العدد 4، جوان 2018م، ص 263.

ثانيا: النثر.

1 -الخطب والوصايا.

تعتبر الخطابة من أبرز فنون النثر في الأدب العربي وهي ذات ميادين متعددة، منها الدينية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ونحو ذلك، وقد عرف الجزائريون هذا النوع الأدبي عندما كان ساستهم يتحدثون لغة المواطنين، فإذا ارتجلوا بها القول أجادوا مع رباطة جأش وفصاحة لسان وقوة كلمة[1].

لكن بمجيء العثمانيين انحصرت الخطابة وبقيت حبيسة الجانب الديني فقط، وقد برز في هذه الفترة من تاريخ الجزائر عديد الخطباء أمثال: سيد قدور، وسعيد المقري، وأحمد المقري، وعبد الكريم الفكون، وأحمد بن عمار ... لكن خطب هؤلاء لم تصلنا، باستثناء الخطب التي ضمنها أحمد المقري في كتابه نفح الطيب وأخرى منسوبة لعبد الكريم الفكون[2].

ومن النماذج التي نستدل بها على خطب الجزائر العثمانية هذه الخطبة لسعيد المقري التي ألقاها في يوم الجمعة، قائلا: " الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفي من آل عمران رجالاً ونساء وفضّلهم تفضيلاً، ومدّ مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه وحقّه على أهل التوبة وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً، ونجّى هوداً من كربه وحزنه، كما خلّص يوسف من سجنه وجبّه، وسبّح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ الله إبراهيم خليلاً، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شراباً نوّع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفاً قد شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلاً، وفضّل طه على جميع

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص 202.

[2] نفسه. ج2. ص 205.

الأنبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلاً، وصدّق محمداً صلى اللّه عليه وسلّم الذي عجزت الشعراء عن صدق نفثه، وشهدت النمل بصدق بعثه، وبين قصص الأنبياء في مدة مكثه، ونسج العنكبوت عليه في الغار ستراً مسدولاً، وملئت قلوب الروم رعباً من هيبته، وتعلم لقمان الحكمة من حكمته، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته... "[1].

إنّ الذي يلحظ على هذه الخطبة -ذات المضمون الديني الوعظي - أنّها خطبة متكلفة مسجوعة في أغلبها، وهذه السمة الفنية تكاد تكون ظاهرة منتشرة لدى جميع خطباء الجزائر خلال العهد العثماني، وهو ما أشار إليه أبو القاسم سعد اللّه حين نبه على أن خطباء هذا العصر " كانوا يتفننون في هذه الخطب فلا يكتفون بالكلام المسجع أو المرسل، بل كانوا يضيفون إلى ذلك بعض القيود ومحاولة التأثير بها السامعين"[2].

2 -الرسائل.

تحتل الرسائل بنوعيها ديوانية وإخوانية في كل عصر اهتمام الأدباء والموظفين والأصدقاء، لكن ما يلحظ على عهد الجزائر العثمانية أنه شهد تراجعا كبيرا في كتابة الرسائل وبخاصة الديوانية " والواقع أن سيطرة اللغة التركية على الإدارة في الجزائر قد جعلت الرسائل العربية لا تظهر إلاّ في النادر، وهي وإن تظهر لا يراعى فيها الإجادة بقدر ما كان يراعى فيها التوصيل والفائدة"[3].

ومن النماذج التي نستدل بها، هذه الرسالة التي كتبها المحجوب الحضري سنة1064هـ، على لسان الباشا عثمان - أحد باشوات الجزائر -

[1] المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ج7. ص 335.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص 205.

[3] نفسه. ج2. ص 190.

إلى سلطان المغرب محمد بن الشريف صاحب سجلماسة، وموضوعها العتاب الشديد لمحمد بن الشريف على إثارة أهل تلمسان وغيرهم ضد العثمانيين[1]، وقد افتتحت هذه الرسالة بقوله:" سلام عليكم ما رصع الجفان سموت البحور، ولمح الجواهر الحسان على أزهار رياض النحور، ورحمة اللّه تعالى وببركاته، ما أساغت محضر الجلال ذكاته، فقد كاتبنا كم من مغنى غنيمة الظاعن والمقيم والزائر، رباط الجريد، مدينة الجزائر، صان اللّه من البر والبحر عرضها، وأقر من زعازع العواصف أرضها، إلماعا لكم، معادن الرياسة، وفرسان الغابة والعيافة والفراسة، فضلا عن سماء صحا من الغيم والقتام جوه..."[2].

وما يلحظ على هذه الرسالة فنيا -بعيدا عن مضمونها -هو لغتها المسجوعة وطول جملها وكثرة الإضافات وتصيد الألفاظ الضعيفة أحيانا وركاكتها أحايين آخر.

وإذا كانت الرسائل الديوانية على هذا الحال من التكلف، فإن الرسائل الإخوانية ليست بأحسن حال منها، إذ بقي أسلوب التكلف سمة بارزة على رسائل الجزائر العثمانية بنوعيها، ومن أبرز كتاب الرسائل الإخوانية نذكر: عبد الكريم الفكون، أحمد المقري، أحمد بن عمارة ومحمد القالي وغيرهم، ومن النماذج التي نستدل بها على هذا اللون الفني رسالة محمد القالي إلى محمد بكداش باشا، والتي جاء فيها: "جل اللّه تعالى مالك الملك، ومقيم قسطاس العدل بما أراده من إعزاز السادات الترك ... جمع سبحانه وتعالى بهم كلمة الدين الحنيف، وآثرهم بهذا الملك الكبير وهذا العز المنيف، وشرفهم بما وهبهم من الرتب العالية، وهم أصل للرفعة والتشريف، وخصهم بمكارم الأخلاق ونزاهة الأقدار، وجعلهم بهذا القطر

[1] السابق. ج2. ص 192.

[2] نفسه. ج2. ص 193.

رحمة للعباد، وأخمد بشوكتهم نار الفتنة والعناد، فسلكت بهم السبل وأمنت بهم البلاد، لطفا منه سبحانه بهذه الأقطار، نسأل اللّه .. أن يبقى جنابهم السعيد عاليا على كل جناب، وأن يخلد الملك فيهم على مرور الدهور وانقضاء الأعمار ..."[1].

وبعد هذه الافتتاحية المادحة للباشا مع الدعاء له بالنصر والتمكن في إعلاء دولته يخلص إلى غرضه وهو طلب الإعانة، حيث يقول: " وبعد، فإن اللّه تعالى من على المسلمين بسيدنا ومولانا سلطان الملوك والأكابر، المخصوص بأفضل الشمائل والمأثر، الإمام العادل، السلطان الفاضل، العالم العامل، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، الذي أطلعه اللّه في سماء الجلالة بدرا، ورفع له في درجات الأمراء قدرا، وأجرى له على ألسنة الخلق ثناء جميلا وذكرا، فأصبح الدين مبتهجا بكريم دولته، وجناب الكفر مهتظما بعظيم صولته، مولانا وسيدنا محمد خوجا الدولاتلي ، أبقى اللّه تعالى أيامه، وأصحب النصر والتمكين ألويته وأعلامه، وهو نصره اللّه، أجل من استعين به فكان خير معين، وأعطى مفاتيح فتلقاها باليمين، وأفضل من امتثل قوله -صلى اللّه عليه وسلم - من فرج على أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا فرج اللّه عليه كربة من كرب الآخرة، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، حسبما أحاط به علم مولانا، نصره اللّه، من مروي ومنقول "[2].

ولعل الذي يلحظ على هذه الرسالة هو اعتمادها على المحسنات البديعية بكثرة، وبالرغم من كثرة المحسنات المرصوفة فإن عبارات القالي سهلة

[1] السابق. ج2. ص 188- 189.

[2] نفسه. ج2. ص 189-190.

واضحة، ويظهر على أسلوبه استثماره للموروث الديني من خلال عبارات التضمين والأدعية التي وردت في نص الرسالة[1].

3 -المقامات.

يعد أبرز أديب جزائري أسهم في كتابة فن المقامات قبل الفترة العثمانية هو ابن محرز الوهراني كما سبق واشرنا في موضع سابق، لكن خلال الفترة العثمانية برز العديد من الأدباء الذين أبدعوا في كتابة فن المقامات وأولهم ابن ميمون في كتابه الذي وسمه بـ: «التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية»، وما يلحظ على هذا الكتاب أن صاحبه قد جمع فيه " ست عشرة مقامة، وجعل كل مقامة عبارة عن فصل من سيرة الباشا وأعماله، فمثلا المقامة الأولى في نبذة من أخلاقه والثانية في تعينه سنجق دار، والثالثة في توليه تقسيم خبر العسكر، والرابعة في توليه الحكم، الخ..."[2]، ولعل هذا التقسيم هو ما جعل النساخ يكتبون مؤلفه مقامات ابن ميمون بالرغم من أنه لم يطلق على كتابه مصطلح المقامات.

لقد حاول ابن ميمون في كتابه «التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية» أن يصيغه على شكل مقامات " وكل مقامة عبارة على وحدة قصصية تخص موضوعا معينا، ولكنه كان مجبرًا، وهو يتناول شخصيات تاريخية وأحداث واقعية، أن يكتب التاريخ لا الأدب وأن يسجل الوقائع لا الخيالات"[3]، ومن هذه الوجهة عد عمله -في نظر النقاد -أقرب إلى التاريخ منه إلى المقامة لانعدام عنصري الحكاية والخيال.

أما كتاب أحمد البوني الموسوم بـ "إعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار" فقد عدّ أقرب الأعمال الأدبية لفن المقامة خلال العهد العثماني.

---

[1] السابق. ج2. ص 190

[2] نفسه. ج2. ص 208.

[3] نفسه. ج2. ص 209

كتب البوني هذه المقامة سنة1106هـ، حيث تناول فيها "علاقة العلماء بالسلطة والاستنجاد بصديقه مصطفى العنابي، والشكوى من وشايات أهل العصر، وهي بدون شك تقرب في أسلوبها وطريقتها من أسلوب وطريقة المقامة المعروفة، وفيها الكثير من الخيال والأغراب والتهويل"[1].

وقد افتتح أحمد البوني مقامته بقوله: " الحمد لله الذي جعل المصائب وسائل لمغفرة الذنوب، والنوائب فضائل لذوي الأقدار والخطوب، وسلط سبحانه وتعالى على الأشراف، أرباب الزور والفجور والإسراف .. وبعد، أيها العلماء الفضلاء، النبلاء الكملاء، فرغوا أذهانكم، وألقوا آذانكم، وتأملوا ما يلقى إليكم من الخبر الغريب، وما يرسله الله تعالى على كل عاقل أريب، فقد ارتفعت الأشرار، واتضعت أربات المعارف والأسرار، وانقلبت الأعيان، وفشا في الناس الزور والبهتان، وأهملت أحكام الشريعة، وتصدى لها كل ذي نفس للشر سريعة، بينما نحن في عيش ظله وريف، وفي أهنى لذة بقراءة العلم الشريف .. إذ سعى في تشتيت أحوالنا وقلوبنا، وهتك أستارنا وعيوبنا، من لا يخاف الله ولا يتقيه، فرمى كل صالح وفقيه بما هو لاقيه، واعتد في ذلك بقوم يظنون أنهم أفاضل، وهم والله أوباش أراذل .. وما كفاه بث ذلك في كل ميدان لأنه يسر الشيطان، حتى أوصله لمسامع السلطان، فلم نشعر إلا ومكاتب واردة علينا من جانب الأمير بعزل صديقنا الشهير، من خطة الفتوى، مع أنه ذو علم وتقوى، تحيرنا من ذلك أشد التحير، وتغيرنا بسببه أعظم التغير ثم نادى منادي السرور، وقال ابشروا برفع السوء عنكم ودفع الشرور .. فقلنا يا هذا أصدقنا الخ..."[2].

وفي التعليق على هذا النص يرى شوقي ضيف أن عمل أحمد البوني وإن ظهر عليه الطابع الأدبي والعبارات المتينة فمن " التجوز تسمية ذلك مقامة، إذ

[1] السابق. ج2. ص 209

[2] نفسه. ج2. ص 209-210.

لا يقوم على الكدية والشحاذة الأدبية (...) على نحو ما نعرف عند بديع الزمان والحريري"[1].

هذا، ويعد عمل عبد الرزاق بن حمادوش (ت 1200هـ) في كتابة فن المقامات إنجازا متميزا في الأدب الجزائري القديم، حيث كتب ثلاث مقامات ضمنها في رحلته، أول هذه المقامات تصف الطريق من تطوان إلى مكناس وما رآه فيها من مشاهد أثناء الطريق، والثانية سماها المقامة الهركلية تناول فيها لنقدا لبعض الظواهر الأخلاقية والاجتماعية في مكناس، أما الثالثة فقد سماها المقامة الحالية تناول فيها حالته مع الناس والدنيا والرحلة كما ضمنها حديثا رمزيا متعلقا بشخص يحبه قد تكون -على الارجح -زوجته[2].

ومن الوجهة الفنية المحضة تعد مقامات ابن حمادوش والقول لأبي القاسم سعد الله الأكمل والأفضل مقارنة بغيرها من مقامات أقرانه الجزائريين خلال فترة الجزائر العثمانية "إذ لا ينقصها عنصر الحكاية ولا الخيال ولا طرافة الموضوع، ولا الرمز، ثم إنها تجمع النثر إلى الشعر"[3].

4 -الرحلات:

أسهم الجزائريون خلال الفترة العثمانية بكتابة الرحلات، وقد تنوعت رحلتهم بتنوع دوافعها، فالتي كانت لأداء فريضة الحج تعد رحلات حجازية والتي كانت لطلب العلم فهي رحلات علمية[4]. ومن هذه الرحلات ما وصلنا ومنها ما ضاع ولم يصلنا منه شيء.

-الرحلات العلمية: لعل أقدم النماذج التي وصلتنا من هذا النوع من الرحلات ما قام به عاشور بن موسى القسنطيني المعروف بـ: الفُكَيرين (بضم الفاء وفتح

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص 238.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص 210-211.

[3] نفسه. ج2. ص 211.

[4] أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي.ج2. ص 382.

الكاف) (ت1074هـ)، الذي نشأ في قسنطينة وتعلم فيها، ثم شد الرّحال لطلب العلم، حيث قصد تلمسان والمغرب الأقصى وبلاد السودان وعندما رجع بعد عشرين سنة من الغياب إلى بلاده[1]، يقول أبو القاسم سعد الله " أخبر بغرائب ما شاهد وعجائب ما رأى، وما أخذ من أولئك العلماء وأرباب الأسرار، وحصّل منهم فن القراءات وجانبا عظيما من فن الأدب"[2].

ويرى أبو القاسم سعد الله بأنّ رحلة الفُكَيرين من النّصوص التي لم تصلنا، قائلا: "فإذا كان قد كتبها فهي لم تصلنا، وإذا كان لم يكتبها فالغالب أنها قد أمليت على بعض تلاميذه الذين كانوا يعجبون بأخباره وغرائبه"[3].

ومن الرحلات العلمية، أيضا، رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي إلى الصحراء والمعروفة بالرحلة الأغواطية المكتوبة سنة (1242هـ)، التي "جمع بين الأخبار عن الصحراء وقراها وواحاتها وعاداتها وبين الحديث عن جزء من الجزيرة العربية وجربة وقابس وشنقيط ونحوها"[4] كما ضمن فيها مسحا جغرافيا للمناخ والمياه والوديان والطرق[5].

وفي التعليق على هذه الرحلة يشك أبو القاسم سعد الله في حقيقة زيارة الأغواطي لجميع الأماكن التي ذكرها في رحلته، قائلا: " ثم إنه ليس من الواضح أنه زار الأماكن التي وصفها، ولعله سمع عنها فقط باعتباره من سكان الأغواط إحدى مدن الصحراء التي تحدث عنها"[6].

---

[1] السابق. ج2. ص 383.

[2] نفسه. ج2. ص 383.

[3] نفسه. ج2. ص 384.

[4] نفسه. ج2. ص 386.

[5] سياب خيرة: رحله الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة بالرحلة الأغواطية. دراسة طبيعية، اقتصادية، اجتماعية، عمرانية، المجلة الجزائرية للمخطوطات. العدد 13. جوان 2015. ص 169.

[6] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي.ج2. ص 386.

ومن الرحلات العلمية التي وصلتنا في العهد العثماني رحلة عبد الرزاق بن حمادوش* (ت 1200) والموسومة بـ «لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال»، وهي رحلة قام بها المؤلف من الجزائر إلى المغرب الأقصى[1]، وستكون لنا معها وقفة تفصيلية إن شاء الله في محاضرة مستقلة.

-**الرحلات الحجازية:** لعل أول الرحلات الحجازية التي ألفت خلال العهد العثماني رحلة أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني (ت 1139هـ) المسماة «الروضة الشهية في الرحلة الحجازية» لكن هذه الرحلة ضاعت ولم تصلنا[2].

وعلى الضد من رحلة البوني الضائعة، فإن رحلة الحسين بن محمد السعيد الورتلاني (1125 -1193ه) الموسومة بـ: «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» قد وصلتنا كاملة، وقد وصف الورتلاني في هذه الرحلة مشاقها "من الجزائر إلى البقاع المقدسة، وقد تضمن هذا وصفا للأماكن ولأحوال الناس من ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية على تنوعها"[3].

ومن الرحلات الحجازية، أيضا، ما كتبه أحمد بن عمار (المتوفى بعد 1250هـ) الذي ألف رحلة سماها: «نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب»، وقد قسم ابن عمار هذه الرحلة إلى ثلاثة أقسام: مقدمة ورحلة وخاتمة، ففي المقدمة تحدث ابن عمار عن أشواقه إلى الحرمين وإلى النبي صلى الله عليه وسلم[4]، حيث يقول: "فأما المقدمة ففي ذكر ما أنتجه العزم وتقدم الترحال"[5]، وأما القسم الثاني: وهو الرحلة؛ فكان في ذكر مسار السفر من

* لابن حمادوش رحلة حجازية لكنها مفقودة. تمثل جزءا الأول لرحلته الموسومة بلسان المقال النبأ عن النسب والحسب والحال.

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص 384.

[2] نفسه. ص 390.

[3] وردة سلطاني: أشكال السرد في الأدب الجزائري القديم. أطروحة دكتوراه علوم. جامعة باتنة. 2013-2014. ص 251.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص 392.

[5] أحمد بن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب. مطبعة فونتانا. الجزائر. 1902. ص 4.

الجزائر وصولا إلى الحجاز، ومن ثمة العودة حيث يقول: "أما المقصود ففي ما يجده السفر إلى الإياب وحط الرحال"[1]، وأما الخاتمة "ففي ما نشأ عن ذلك بعد السكون وانضم إليه وجره الصدر عن العجز ورده عليه"[2].

لكن ما يلحظ على هذه الرحلة أن قسمايها الثاني والثالث مفقودان وما بقي منها إلاّ قسمها الأول الذي ضمّن فيه ابن عمار -إلى جانب شوقه للحرمين وإلى النبي صلى الله عليه وسلم -حديثا "عن شعر الموشحات والمولدية والمدائح النبوية وعادات أهل الجزائر أثناء الاحتفال بالمولد النبوي"[3].

[1] السابق. ص 4.

[2] نفسه. ص 4.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص 392.

المحاضرة الحادية عشر: بكر بن حماد التيهرتي (200 -296هـ)

أولا: في التعريف ببكر بن حماد.

هو أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سهل(وقيل: صالح، وقيل: سهر، وقيل: سمك) بن اسماعيل الزناتي التاهرتي[1]، ولد بتيهرت سنة 200هـ، وبها تلقى دروسه الأولى على مشاهير علمائها وفقهائها وكبار محدثيها[2]، وفي سن السابعة عشر رحل إلى القيروان طلبا للعلم وأوغل في رحلته حتى البصرة حيث تتلمذ على شيوخها؛ ودفعه طموحه حتى وصل إلى بغداد، وفيها لفت انتباه أبا تمام وغيره من كبار شعرائها[3] أمثال دعبل الخزاعي ومسلم بن الوليد وعلي بن الجهم وغيرهم، وقد كان لقاؤه لهؤلاء الفحول تأثير في تفتيق موهبته الشعرية[4].

لم يطل المقام ببكر في بغداد فعاد إلى القيروان" وهو شيخ من شيوخ الأدب والحديث* (...) في هذه الفترة انتصب لإملاء الحديث على الطلاب، وحضر مجالس سحنون للأخذ عنه، كما كان يملي قصائده الشعرية على ناشئة الأدب والزهاد(...) وكان بكر على جلالة وقدرة في رواية الحديث والأدب"[5].

ونشير هنا، أن بكر بن حماد لم يكن ملازما للقيروان حتى سنة 295هـ ، بل إنه كان -والقول لمحمد بن رمضان شاوش -يقيم في القيروان

---

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص58.

[2] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 43.

[3] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات. ج10. ص159.

[4] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص88.

* وقضى بها فترة تمتد الى ما قبل وفاته سنة 295هـ.

[5] نفسه. ص88.

حينا وبتيهرت أحايين آخر، حسب ما يقتضيه صفاء الجو السياسي وتعكره في كل من الإماراتين الأغلبية والرستمية[1].

وفي سنة 295هـ وقعت وشاية من منافسي بكر بن حماد لدى الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب فخرج فارا من القيروان مصحوبا بابنه عبد الرحمن، فأعترضه لصوص جرحوه وقتلو ابنه[2] " وكانت وفاته بقلعة ابن حمة في مدينة تيهرت سنة 296هـ"[3].

ثانيا: في تجربته الشعرية وجماليتها.

إن الناظر فيما وصلنا من شعر بكر بن حماد -رغم ضياع معظمه - يدرك لا محالة شاعرية الرجل ومقدرته على النظم والإبداع، وننوه في هذا السياق بدور محمد بن رمضان شاوش الذي يعود له الفضل في جمع طائفة كبيرة من أشعاره وسماها بالدر الوقاد من شعر بكر بن حماد[4].

- المدح:

كان مدح بكر بن حماد في عمومه يسير في اتجاه المدرسة المشرقية المحافظة، إذ لم يخرج في هذا الغرض عن سياق الإشادة بكرم ممدوحه أو التغني بشجاعته أو الافتخار بنسبه[5]، ومن النماذج القليلة التي وصلتنا في هذا الغرض مدحه لأبي العيش عيسى بن إدريس صاحب جراوة وتلمسان، بقوله[6]:

---

[1] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 50.

[2] نفسه. ص 51 -52.

[3] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. ص80.

[4] ينظر محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 61 وما بعدها وشوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات. ج10. ص160.

[5] فورار امحمد بن لخضر: بكر بن حماد التاهرتي الجزائري دراسة في سيرته وشعره. مجله العلوم الإنسانية. جامعه بسكرة، العدد 15، أكتوبر 2008. ص306.

[6] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 74.

سـائل زواغة عن فعال سيوفه ورماحـه في العارض المتهلهل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخـيل تمرغ بالوشيج الذبل
وغشـى مغيلة بالسيوف مذلة وسقى جراوة من نقيع الحنظل

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن بطولات ممدوحه أبا العيش وشجاعته في توسيعه حدود ملكه من خلال استلائه على عدة مناطق واسعة، وإخضاع قبائلها كزواغة ونفزة ومغيلة وجراوة لسلطانه وحكمه.

ومن مدائحه أيضا ما قاله في الأمير أحمد بن القاسم أحد أشراف الأدارسة[1]:

إن السماحة والمروءة والندى جمعوا لأحمد من بني القاسم
تفاخرت الـقبائل وأنتمت فأفخر بفضل محمد وبفاطم

يشيد الشاعر في هذه الأبيات بمحاسن الأخلاق وجميل العادات التي تميز بها ممدوحه من جهة، ومن جهة أخرى يتغنى بنسبه الشريف الذي ينتمي إليه وهو نسل النبي صلى اللّه عليه وسلم وآل بيته الطاهرين.

- الهجاء:

تناول بكر بن حماد موضوع الهجاء وأجاد فيه " ولعل طبعه في الهجاء وما إليه كان أطوع منه في المديح وتعداد المحاسن"[2] ومن النماذج التي نستدل بها على هجائه، القصيدة التي قالها في عمران بن حطان ردا على قصيدته التي مدح بها عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي، حيث يقول فيها[3]:

قل لابن ملجم والأقـدار غالبة هدمت ويلك للإسـلام أركانا

---

[1] السابق. ص 72.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 93.

[3] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 62 وما بعدها.

قتلت أفضل مـــن يمشي على قدم وأول النـــــاس إسـلاما وإيمانا
وأعلم النـــــاس بالقرآن ثم بما سـن الرسول لنا شرعـــا وتبيانا
صهـــــر النبي ومـولاه وناصره أضـــحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا صارما ذكـر ليـــــثا إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قـــاتله والدمع منحدر فقـلت سبحان ربي الناس سبحانا

إلى أن يصل إلى قوله[1]:

فـــــــلا عفا عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شـــــقي ظل مجترما ونال مـــــا ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة مـــــن تقي ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضـــربة من غوي أورثته لظى مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا
كأنه لـــم يُرد قصدا بضربته إلاّ ليـصلى عذاب الخلد نيرانا

يصور بكر بن حماد في هذه القصيدة فضائل الإمام علي رضي الله عنه وفي مقابل ذلك يهجو ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه ومادحه عمران بن حطان. والحق إن دفاع الشاعر عن الإمام علي - رضي الله عنه -لا يعني كما ذهب البعض بأنه صاحب مذهب شعيّ، بل إن هذا الدفاع -والقول لرابح بونار -مرده " عاطفة إشفاق وحب يكنه للإمام علي، لا أنه صاحب مذهب شيعي يتعصب له ويدافع عنه في كل أوقاته، ولذلك لا نجد له في هذا الموضوع إلاّ هذه القصيدة، وأبيات مدحية أخرى أشار فيها إلى فاطمة رضي الله عنها"[2].

[1] السابق. ص 66.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 92.

- **الرثاء:**

نظم بكر بن حماد في موضوع الرثاء وأجاد التعبير عن عاطفته الحزينة المكلومة، كما كان موفقا في تصوير ألآمه وهمومه[1] وبالأخص القصيدة التي نظمها في فقده لابنه عبد الرحمن، والأكيد أن له مرثيات أخرى لكنها ضاعت في ما ضاع من شعره ولم تصلنا، ومن منظومه في رثاء ابنه، قوله[2]:

بكيت على الأحبة إذ تولوا ولو أني هلكت بكوا عليا
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا وفقدك قد كوى الأكباد كيا
كفى حزنا بأني منك خلو وأنك ميت وبقيت حيا
ولم أكن آيسا فيئست لما رميت التراب فوقك من يديا
فليت الخلق إذ خلقوا بواق وليتك لم تكن يا بكر شيئا
فلا تفرح بدنيا ليس تبقى ولا تأسف عليها يا بُنَيَا
فقد قطع البقاء غروب الشمس ومطلعها علي يا أخيا
وليس الهم يجلوه نهار تدور له الفراقد والثريا*

في هذه القصيدة يبكي بكر بن حماد ابنه بكاء حارا، وقد عبر عن لوعة فراقه وألم فقده تعبيرا صادقا وحزينا، كما نستشف أيضا في هذه القصيدة فلسفته للوجود و"تأملات حول بقاء الإنسان في الحياة، وترصد الموت له"[3].

---

[1] السابق. ص 94.

[2] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 87-88.

* الفراقد: اسم نجمين قريبين من القطب الشمالي أحدهما أظهر من الآخر، كان يستعملان للاهتداء أثناء الظلام. الثريا: مجموعة كواكب في عنق الثور تشبه بها الجموع في حسن نظمها وتناسب افرادها وتلازم المجتمعين.

[3] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 94.

- **شعر التأملات:**

كان بكر بن حماد ذا نظرة متأملة في الدنيا وأهلها وأحوالها، ومن تأملاته نظرته إلى طبقات المجتمع المختلفة[1]، " من حيث مكاسبها وأموالها، فهذا غني يتمتع بأطايب الحياة ويتقلب تحت ظلال النعيم، وهذا فقير يخبط يمينا وشمالا في طلب الرزق"[2]، وفي تعبيره عن هذا الحال، يقول[3]:

تبارك من ســـاس الأمور بعلمه وذل لـــــه أهل السماوات والأرض
ومن قســـــم الأرزاق بين عباده وفضل بعض الناس فيها على بعض
فمن ظن أن الحرص فيها يزيده فـقولوا له يزداد في الطول والعرض

يعكس لنا الشاعر من خلال هذه الأبيات نظرته للحياة، وهي نظرة فلسفية تقوم على ترابط مجموعة أحداث، أولها مشيئة الخالق في خلق الدنيا، وثانيها تقسيمه للأرزاق بين عباده، وتفضيل بعضهم على بعض، وثالثها هي محدودية عمر الإنسان.

- **الزهد والوعظ:**

كانت بيئة المغرب العربي عموما والأوسط خصوصا ملائمة لانتشار تيار الزهد، ولا نعجب إذا وجدنا بكر بن حماد قد " أجاد في هذا الموضوع إجادة ملحوظة، (فكان) شعره نبع فياض لنفس زاهدة صادقة، ومرآة صافية لروح متقية معرضة عن متاع الدنيا"[4] وزخرفها، ومن القصائد التي نستشهد بها على هذا الغرض، قوله[5]:

---

[1] فورار أمحمد بن لخضر: بكر بن حماد التاهرتي الجزائري دراسة في سيرته وشعره. ص 309.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 94.

[3] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 77.

[4] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 95.

[5] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 78 وما بعدها.

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقها*
فيا أسفـــي من جنح ليـــل يقودهـــا وضـــوء نهار لا يـــزال يسوقها
إلى مشـــهـــد لا بد لي من شهـــوده ومن جـزع للموت سوف أذوقها
ستأكلها الديـــدان في باطـن الثرى ويـــذهـب عـنها طيبها وخلوقها

والمتأمل في هذه القصيدة البالغة عشر أبيات يجد أنها زاخرة بالمعاني الزهدية سواء ما كان منها من " تحذير للنفس من غوايتها وضلالها (أو) تذكيرها لها مما ستلاقيه في مواطن القضاء"[1].

ومما تجدر الاشارة إليه، أن هذه النزعة الزهدية في شعر بكر بن حماد كان لها حضورها المكثف فيما وصلنا من أشعاره ومقطعاته، ومما نجده عنده في سياق الوعظ والتذكير، قوله[2]:

قـــــف بالقبور فنادِ الهامدين** بها مِـــن أَعْظُمٍ بليت فيها وأجسادِ
قوم تقطعت الأســـــباب بينهـم من الوصول وصاروا تحت أطواد
راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا فلـــن يروحوا ولن يغدوا لهم غاد
و اللّٰه لـو ردوا ولـو نطقـــــــوا إذا لقالوا : التقى من أفضل الزاد

وفي قصيدة أخرى يقول[3]:

لقد جفـت الأقلام بالخلق كلهم فمنهم شقي خائـب وسعيد
تمر الليـالي بالنفوس سريـعـة ويبدئ ربي خلـقه ويعـيد
أرى الـخير في الدنيا يقل بكثرة وينقص نقصا والحديث يزيد

* جمحت نفسي: تغلبت عليّ وقادتني لركوب الهوى، مرقت نفسي: خرجت عن الدين بضلال أو بدعة، وجاء في الأثر:" يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" ومنه سميت الخوارج مارقة لخروجهم عن مذهب السنة والجماعة.

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 95.

[2] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 80.

** الهامدين: الأموات.

[3] نفسه. ص 75.

فلو كان خيرا قل كالخير كله وأحســـــــب الخير منه بعيد

إن هذا التشاؤم المرير الذي عبر عنه بكر بن حماد في هذه القصيدة وغيرها من قصائده الزهدية جعلت البعض يماثل بين زهده وزهد أبي العتاهية، لكن رابح بونار كان له موقف آخر حين قارن بين التجربتين الزهديتين قائلا:" ولكننا مع ذلك نقول بأن شاعرنا ذو طابع خاص به في الزهد لا نجده عند أبي العتاهية وغيره، وهذا الطابع هو الزهد الوجداني الذاتي، فقصائده التي أنشاها في الزهد قد حدثنا فيها عن نفسه وعبر فيها عن خوالجه ومشاعره، فكانت قصائده لذلك صورة حية لمشاعره الزهدية وعواطفه الخلقية، بخلاف قصائد أبي العتاهية التي أثقلها الأسلوب التقريري، وأضعف قوتها العاطفية روح التفكير والتأمل، فكانت دونها في التأثير وإن كانت أقوى منها في قوة الأسلوب وأدخل في البيان العربي الموروث"[1].

- **الوصف:**

يعدّ غرض الوصف من الأغراض الشعرية الحاضرة بقوة في الشعر العربي القديم، وقد نظم بكر بن حماد في هذا الغرض لكن ما وصلنا من شعره "إلا أبيات قليلة في وصف برد تيهرت التي عاش في أحضانها أمدًا، وعانى من بردها الشديد قساوة"[2]، حيث يقول[3]:

ما أخشن البـــرد وريعانه وأطراف الشـــمس بتاهرت*

تبدو من الغيـم إذا ما بدت كـــــــأنها تنشر من تخت**

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 96-97.

[2] نفسه. ص 94.

[3] محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. ص 61.

* ريعان كل شيء أوله ومنه ريعان الشباب. أطراف الشمس أي أن حر شعاعها ضعيف.

** لفظة فارسية معناها السرير وهي مستعملة هنا بمعنى الفراش.

نحن في بـــــــحر بلا لجة تجري بنا الريح على السمت
نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمـــــي بالسبت***

يتحدث بكر بن حماد في هذه الأبيات عن شدة برد مدينة تيهرت، وقد استعان في تقريب قساوة طبيعتها بحال الشمس في شروقها وبمشهد ثلوجها، وفي مقابل ذلك جعل فرحته بالشمس حين بروزها تماثل فرحة اليهودي بيوم السبت.

وكمحصلة مما سبق ذكره، يمكن القول، إن بكر بن حماد بالرغم من أنه أخذ عن شعراء المشرق أنصار البديع والتصنع كأبي تمام ودعبل إلاّ أن طريقته كانت طريقة المطبوعين من طلاب المعاني، بحيث غابت الصور الفنية في شعره إلاّ ما جاء عرضا من غير قصد[1].

*** الذمي: كل من أعطي الذمة أي الأمان أي آمن على نفسه وماله مقابل الجزية التي يؤديها لجماعة المسلمين، والمراد به هنا اليهودي لأن اليهود هم الذين يفرحون بيوم السبت حتى أنهم ينقطعون فيه عن المعيشة واكتساب الرزق .

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 93.

المحاضرة الثانية عشر: أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني،

(حي أوائل القرن السابع الهجري 602هـ)

أولا: في التعريف بابن الفكون

أبو علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني، الشهير بابن الفكون، شاعر المغرب الأوسط في وقته؛ من أهل قسنطينة[1]، لا نعرف عن تاريخ ميلاده ولا وفاته شيئا على وجه التحديد، سوى أنه كان حيا سنة 602هـ، تولى ابن الفكون قضاء تلمسان وكان فقيها نابها " استقدمه المنصور الموحدي (580 -595هـ) لقضاء الجماعة بمراكش، وظل حميد السيرة مشهورا بالعدل في أحكامه، عزله المنصور بعد فترة، وأعاده ابنه الناصر إلى أن توفي"[2].

استهل الغبريني ترجمته لحياة ابن الفكون بكلام يدل على تبحر الرجل في صنوف المعارف والعلوم قائلا:" الفقيه، الكاتب، البارع (...) من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم، وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر "[3].

أما عن منزلته العلمية، فيقول:" وهو من الفضلاء النبهاء، وكان مرفع المقدار، ومن له الحضوة والاعتبار. وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، ولم يكن يحترف به لإقامة أود أو إصلاح حال"[4].

ثانيا: في تجربته الشعرية وجماليتها:

خلف ابن الفكون ديوانا شعريا بحسب ما أشار إليه الإخباريون أصحاب التراجم لكنه ضاع وما وصلنا منه الاّ بعض القصائد والمقطوعات في

---

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص253- 254.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. ج10. ص 125.

[3] الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. تحقيق عادل نويهض. منشورات دار الأفاق الجديدة. بيروت. ط2. 1979. ص334.

[4] نفسه. ص 334.

مدح ولاة بني عبد المؤمن في بجاية، ورحلة نظمها في سفره من قسنطينة إلى مراكش سنة 602هـ ضمنها ذكر المدن التي مر بها[1].

ومن مستحسن شعره الذي وصلنا قصيدته التي يصف فيها جمال مدينة الناصرية، قائلا[2]:

دع العراق وبغداد وشامـــــــها فالناصرية* ما إن مـــــــثلها بلدُ
برا وبحر وموج للعيون بـــــــه مسارح بان عـــنها الهم والنكدُ
حيث الهواء والهواء الطـلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الرغدُ
والنهر كالصّلّ والجنـات مشرقة والـــنهر والبحر كالمرآة وهو يدُ
حيثما نـــظرت راقــت وكل نوا حي الـدار للفكر للأبصار تتقدُ
إن تنظر البـــــــر فالأزهار يانعة أو تنظـــــر البحر فالأمواج تطرّدُ
يا طالبا وصفها إن كنت ذا نصف قل جنة الخـلد فيها الأهل والولد

يبدو الشاعر من خلال هذه القصيدة مولعا بوصف الطبيعة وعناصرها من بر وبحر ورياض وأنهار، وقد أجاد في وصفه لهذا المشهد إجادة "تباري النسيم لطفا والماء انسجاما والنور المتفتق عن اكمامه بهجة ووشيا"[3].

ومن جميل شعره أيضا هذه القصيدة التي نظمها في مدح بعض أعيان بنى عبد المؤمن، والتي يقول فيها[4]:

عشونا إلى نار الربـــــيع وإنما عشـــونا إلى نار الندى والمحلّقِ
ركبنا بواديه جـــــياد زوارق نزلـــنا إليها عن ضوامر سُبّقِ
وخضنا حشاه والأصيل كـــأنه بصـــــفحته تبدّى مروّق زَنْبَقِ

[1] السابق. ص334.

[2] نفسه. ص 334- 335.

* يقصد مدينة بجاية.

[3] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص78.

[4] الغريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 335-336.

وسيدنا قد سار فيه لأنـــــــــه بـــــــزورقه إنسان مقلة أزرقِ
فقلت وطريفٍ يجتلي كل عـــبرة وزورقـــــــه يهوى به ثم يرتقي
أيا عجبًا للبحر عبّ عـــــــبابه تجمّع حتى صـــار في بطن زورقِ
ولما نزلنا ساحة القصر راعـــــنا بكل جمال مبهج الطرف مُرْتقِ
فما شئت من ظلٍّ وريفٍ وجـــدولٍ وروضٍ مـــتى تلمّم به الريح يعبقِ
وشادي مغاني الحسن في نغـــماته يطارحـــــه هَدْر الحمام المطوّقِ
فيا حسن ذاك القصر لا زال آهلا ويا طـــــيب ريا نشره المتنشّقِ
رتعنا به في روضة الأنس بـــعدما هـــصرنا به غصن المسرةُ مورِقِ
ويضحكنا طول الوصا وربمـــــا يـــمر على الأوهام ذكر التفرق
فتضحى موصونات الدموع هَدَالة ونحن على طرف من الدهر أبلقِ
لمثلهما من منزهٍ ونزاهـــــــــةٍ يـــــجرر ذيل الذيل كل موفقِ
فله ساعـــــــاتٌ مضين صوالحٌ علـــيهنّ من زيِّ الصبّا أي رونقِ

وختم ابن الفكون هذه القصيدة بهذه العبارات النثرية التي لا تختلف في سلاستها وخفتها عن جمال نظمه[1]، قائلا:" ولما نضب ماء الأصيل، ورق نسيمه العليل، وهم العشي بانصرام، وودع النهار بسلام، وأرخى الليل فوقنا سدوله، وجرر على الأفق ذيوله، عدنا إلى زورقنا ذلك، ومحيا الجو غير محتجب، ووجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام ولا منتقب، وقد تشكلت الكواكب في الماء، فكأنما يجري بنا زورقنا في السماء"[2].

ولما أنهى كلامه اقترح عليه من معه -والقول له -أن يسمع آذانهم بما تجود قريحته من معسول شعره؛ فقال مُتبعا نثره[3]:

وليل مسرّةٍ ما زلـــــــت منها أمـــــرُّ على صراطٍ مستقيمِ

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 79.
[2] الغريني :عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 336.
[3] نفسه. ص 336.

لبست ثيابه عـــــــزا إلى أن تحــدّرت الرجومُ من النجومِ
فنهر كالسجلجل قد تــراءت عـــــلى شطيه جنات النعيمِ
يسر النفس في نظر وشـــــيمٍ من المــرأى الوسيم أو النسيمِ
تشكلت الكواكب فيه حتى جـرت في قعره شهب الرجومِ
وأشكل منظـــرا علوا وسفلا مــن الفلك الأثير إلى التخومِ
فما تمتاز أرض مـــــن سماء وحُوتْ الماء من حُوتْ النجومِ

ومن شعره الذي أجاد فيه، أيضا، قصيدته التي ضمنها ذكر البلاد التي رآها في رحلته من قسنطينة إلى مراكش، والتي يقول فيها[1]:

ألا قُلْ لي السَّريِّ ابنِ السَّريِّ أبي الــبَدْرِ الجــوادِ الأرْيحيِّ
أيا مَعْنى السِّيادة والمعـــالي ويا بـــحر النَّدى بَدْرَ النَّـدِيِّ
أما وبحقِّكَ المـــبْدِي جـلالاً وما قد حُزْتَ من حسبٍ عَلِيِّ
وما بيني وبيـــــنك من ذمامٍ ومـــا أُوتيتَ من خلُقٍ رضِيِّ
لقد رمتِ العُيــونُ سهام غُنْجٍ وليس سوى فُؤادِي مِنْ رَمِيِّ
فحسبُكَ نارُ قــلبي من سعيرٍ وحســبُكَ دمْعُ عيني مِنْ أَتِيِّ
وكنت أظــن أن الناس طُرّاً ســوى زيدٍ وعمرو غير شَيِّ
فلما جـــــئْتُ ميلة خير دارٍ أمـــــالَتْنِي بكلّ رَشَا أَبِيٍّ*
وكم أوْرَتْ ظباءُ بـــني وَرارٍ أُوارَ الــشَّوقِ بالرِّيقِ الشَّهيِّ
وجئْتُ بجايةَ فَجَلَتْ بُـــدورًا يضيق بوصفها حرف الرَويِّ
وفي أرض الجزائر هام قَلْبي بمعسُــولِ المراشِفِ كَوْثَريِّ
وفي مليانةٍ قد ذُبتُ شوقـــا بلينِ العــطف والقلب القسِيِّ
وفي تَنَسٍ نسيتُ جميلَ صبْرِي وَهِمْتُ بِــكُلِّ ذِي وَجْهٍ وَضِيِّ

[1] العبدري: رحلة العبدري. تحقيق علي إبراهيم كردي. دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع. (دم). ط2. 2005. ص 97 وما بعدها. وينظر أيضا المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. ج2. ص483 وما بعدها.

* رشا: أصله بالهمزة وهو الغزال

وفي مَـــــازُونةٍ ما زِلتُ صبّاً ... بِـــــوَسْنانِ المحاجِرِ لَوْذَعِيِّ
وفي وهــرانَ قد أمسَيْتُ رَهنًا ... لِظَامِي الخـصر ذِي رِدفٍ رَوِيِّ
وأبـــــدتْ لي تلمْسانٌ بدوراً ... جَـــــلَبْنَ الشّوقَ للقلب الخَلِيِّ
ولما جئــتُ وجْدَةَ هِمْتُ وجدًا ... بـــــمُنْخَنِثِ المعاطِفِ معنويِّ
وحلَّ رَشَا الرّباط رِشا رِباطي ... وتَيَّـــــــمَني بِـطَرْفٍ بابليِّ*
وأطْلَعَ قُـطرُ فاسٍ لي شُموساً ... مغـــــاربُهنَّ في قلْبِ الشَّجيِّ
وما مكْـــناسَةٌ إلاّ كِنَاسٌ ... لأَحوى الطّرْفِ ذِي حُسْنٍ سَنيِّ
وإن تَسْلا عن أرض سَلا فَفيها ... ظـــــباءٌ صائداتٌ للكميِّ
وفي مرّاكُـــشٍ يا ويْحَ قلبي ... أتـى الوادي فَطَمَّ عاى القَريِّ**
بُدورٌ بل شمـــوسٌ بل صباحٌ ... بَـــــــهيٌّ في بَهيٍّ في بَهِيِّ
أتَحْنَ مَصَارِعَ العُـــشّاق لما ... سعـــين به فكم مَيْتٍ وحيِّ
بقامَةِ كلّ أسمَرَ سَمْهَـــريٍّ ... وَمُقْلَةِ كُلِّ أبْيَضَ مَشْرفيِّ***
إذا أنْسَوْنِي الوُلدانَ حُسْنـــًا ... أُنَسِّيـهم هَـوَى غَيْلانَ مَيِّ****
فها أنا قد تَخِذْتُ الغربَ داراً ... وأُدْعَـــــى اليوم بالمرَّاكُشِيِّ
على أنّ اشْتياقِي نحو زيـــدٍ ... كشوقي نحو عـمرو بالسَّوِيِّ
تَقَسَّمَني الهوى شَرْقاً وغربـاً ... فـــــيا للمشرِقـــيّ المغربيِّ
فلبى قلبٌ بأرضِ الشّرقِ عَانٍ ... وجسمٌ حلَّ بالغربِ القصيِّ*****
فهذا بالغُدُوِّ يهيمُ غرْبـــــاً ... وذاك يهـــيمُ شـــرقاً بالعَشيِّ
ولولا اللّه مِتُّ هَوىً ووجـداً ... وكـــــمْ اللّه مِنْ لُطـــفٍ خَفِيِّ

* الرباط: يقصد بها مدينة تازة، وتدعى رباط تازة، وهي غير رباط الفتح التي أسسها الفرنسيون بعدها واتخذوها عاطمتهم بعد احتلالهم للمغرب.

** القريّ: مسيل الماء من الربوة إلى الروضة، وهو مثل ذكره الميداني في مجمعه. والرواية فيه جرى الوادي فطم على القريِّ.

*** السمهري: الرمح الصلب.

**** المقصود بغيلان: ذو الرمة الشاعر.

***** العان: الأسير.

نظم ابن الفكون هذه القصيدة خلال رحلته من قسنطينة إلى مراكش، وقد استهل قصيدته/رحلته بالإشادة بمنزلة ممدوحه أبي البدر حيث جعله " من أصحاب العزائم القوية والمكارم السامية "[1]. ثم بدأ في عرض رحلته من قسنطينة مرورا بميلة، بجاية، الجزائر، مليانة تنس مازونة وهران تلمسان وصولا إلى مدينة وجدة ثم الرباط فاس مكناسه وسلا وانتهاء ببغيته وهي مدينة مراكش، حيث ألقى هذه القصيدة في حضرة السلطان " وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز"[2].

وننبه هنا أن العبدري قد أتبع هذه القصيدة التي أوردها في رحلته بنقد لمعانيها، لكثرة التكلف في "مبانيها أين تخلو من الحسن الذي لمسناه في قصيدة دع العراق وبغداد وشامها"[3]، لكنه في نظرنا أن هذا التكلف أمر طبيعي لأن الرجل ألقى هذه القصيدة في حضرة السلطان، فالأكيد أن التكلف يكون سيد المقام.

وفي الأخير، ونحن نختم حديثنا على هذه الشخصية الجزائرية العظيمة، يحسن بنا القول إن حسن بن علي بن الفكون يعدّ من أبرز الشعراء الذين انجبتهم الجزائر الموحدية بالرغم من أنه لم ينل نصيبا وافرا في كتب الاخباريين وأصحاب التراجم، لكن ما عرفناه عنه -استنادا على ما وصلنا من نصوصه الشعرية -يؤكد أن الرجل " من فحول شعراء عصره، ومن الأدباء الذين تستطرف أخبارهم، وتروق أشعارهم"[4].

---

[1] نوال بلمداني: عرض رحلة أبو علي حسن بن فكون من قسنطينة إلى مراكش أنموذجا. مجلة القرطاس. العدد الخامس/ جوان. 2017. ص 25.

[2] الغريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص334.

[3] السعيد بخليلي. الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. ص 31.

[4] نوال بلمداني: عرض رحلة أبو علي حسن بن فكون من قسنطينة إلى مراكش أنموذجا. ص 28.

المحاضرة الثالثة عشر: ابن خميس التلمساني (650 - 708هـ)

أولا: في التعريف بابن خميس.

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس الحميري الحَجْري الرُّعيني، نسبة إلى حجر ذي رعين القبيلة اليمنية، ولد بتلمسان سنة 650هـ أو قبلها بقليل.[1]

لم تذكر كتب السير والأخبار شيئا عن أهله وأسرته، ومركزه الاجتماعي، كما أنها أغفلت الحديث عن الشيوخ الذين أخذ عنهم والفنون التي قرأها[2]، لكن الأكيد أن ابن خميس قد تتلمذ كغيره من أبناء جيله على شيوخ وعلماء عصره "وسرعان ما عرف بين أقرانه بذكائه، وتتفتح موهبته الأدبية، ويصبح من كتاب ديوان الإنشاء في عهد السلطان التلمساني يغمراسن ثم في عهد ابنه أبي سعيد عثمان(681 -703هـ)"[3].

وفي سنة 698هـ في حكم أبي سعيد حاصر السلطان المريني يوسف بن عبد الحق مدينة تلمسان وخلال سنة 703هـ من الحصار توفي سلطانها أبو سعيد، حينها غادر ابن خميس تلمسان إلى سبتة حيث رحب به أمراؤها الذين كانوا من أسرة بني العزفي، فأغدق عليهم بمدائحه[4] " والثناء عليهم، ورد إليهم المفاخر، وجعلهم أصل المكارم والمآثر"[5].

---

[1] عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس في شعر أبي عبد الله بن خميس. مطبعه ابن خلدون. تلمسان.ط1. 1365هـ. ص 16- 17.

[2] نفسه. ص 17.

[3] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات. ج10. ص 136.

[4] نفسه. ج10. ص 136.

[5] عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس في شعر أبي عبد الله بن خميس. ص 30.

لم يطل ابن خميس الاقامة في هذه المدينة ورحل عنها سريعا بسبب مكر بعض شيوخها الذين أوعزوا "إلى طلبة سبتة أن يلقوا على ابن خميس اسئلة يراد بها إعجازه"[1].

غادر ابن خميس سبتة متوجها إلى مالقة بالأندلس ومنها إلى غرناطة أواخر 703هـ، وكان أميرها يومئذ محمد السادس النصري ووزيره يومئذ عبد الله بن الحكيم[2]، أقام ابن خميس في غرناطة " يقرئ فيها العربية مع ملازمته لمجالس ابن الحكيم، وحين دبر خصوم الوزير لمقتله وقتلوه، قتلوا معه شاعره ابن خميس يوم عيد الفطر مستهل شوال سنة 708هـ"[3].

كان لابن خميس إلمام كبير بعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وفقه وتصوف، وله فوق ذلك اطلاع واسع بأيام العرب وأحوالها والشيع ومعتقداتها[4].

هذا، وقد خلف لنا ابن خميس ديوانا شعريا جمعه القاضي أبو عبد الله بن ابراهيم الحضرمي وسماه «الدر النفيس في شعر ابن خميس»، لكن هذا الديوان مفقود لم يصلنا[5]، أما ما وصلنا من شعره فنجده موزعا في المصنفات القديمة، كرحلة العبدري وكتاب الإحاطة لابن الخطيب، دون نسيان الجهد الذي بذله عبد الوهاب بن منصور في جمع بعض أشعار ابن خميس ووسم كتابه بـ«المنتخب النفيس في شعر أبي عبد الله بن خميس».

---

[1] السابق. ص30.

[2] نفسه. ص 33.

[3] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات. ج10. ص 136.

[4] عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس في شعر ابي عبد الله بن خميس. ص 52.

[5] نفسه. ص 56.

ثانيا: في تجربته الشعرية وجماليتها.

نظم ابن خميس في أغراض شعرية متعددة منها المدح والفخر والحنين والوصف والزهد، وشعره على العموم يمتاز "بقوة الأسر وطول النفس، والتشاؤم، وغرابة الألفاظ، والسرد القصصي، والروح الصوفية والتفكير الفلسفي"[1].

- المدح:

المتأمل في ما وصلنا من شعار ابن خميس يجد أن غرض المدح من أبرز الأغراض البارزة في شعره، ولا غرابة في ذلك، فالرجل كان ملازما لبلاط السلاطين والوزراء، لكن ما يلحظ على مدائحه أنه "قلما يخصص قصيدة بكاملها لممدوحه، ولعل هذا ما يوحي إلى أن الشاعر لم يكن متكسبا بشعره، متملقا لأهل الرتب والمناصب، ولو كان كذلك لأفرد الممدوح بكامل قصيدة"[2] كما كان يفعل غيره من الشعراء.

ومن مدائحه هذه الأبيات التي قالها في بني العزفي ضمن قصيدة طويلة في رثاء تلمسان وما أصابها من حصار السلطان يوسف المريني، قائلا[3]:

كواكب هدى في سماء رئاسة تضيء فما يدجو ضلال ولا يطخو*

....

بنو العزفيين الأولى من صدورهم وأيديهم تملا القراطيس والطرخ

....

[1] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص 323.

[2] علي بوزيزة: ابن خميس التلمساني شاعرا. مذكرة ماجستير(نسخة الكترونية). كليه الآداب. جامعه تلمسان.2002-2003. ص 57.

[3] عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس في شعر ابن خميس. ص 102.

*يطخو: يظلم. الطرخ: قطعة من خرص وهنا يراد بها الطوامير/ الصحف. رضخ: عطاء.

رياسة أخـــــــيار وملك أفاضل كرام لهم في كل صالحة رضخ

يعلي ابن خميس في هذه الأبيات من شأن بني العزفي، إذ يجعل منهم في سماء الرئاسة كواكب لا تخبو أنوارها، وفي المعرفة علماء أجلاء تمتلئ القراطيس بعلمهم، وفي العطاء أفاضل لهم في كل صالحة عطاء جميل.

ومن مدائحه، أيضا، ما نظمه في الوزير الغرناطي ابن الحكيم، قائلا[1]:

ولولا جوار ابن الحـــكيم محمد لما فات نفسي من بني الدهر إقماء*

....

حماني فلـــم تـنتب محلي نوائب بســـــــــوء ولم ترزأ فؤادي أرزاء

....

دعاني إلى المجد الذي كنت آملا فلم يكن لي عن دعوة المجد إبطاء

وبوأنـــــــي من هضبة المجد تلعة يناجي السها منـــها صعود وطأطاء

يعترف ابن خميس في هذه الأبيات بفضل الوزير ابن الحكيم عليه فقد حماه " من نوائب الدهر ومحنه، بل لقد دعاه إلى ما كان يتمنى من مجد وأنزله؛ من هضبته مكانا عليا يناجي منه نجم السها صعودا وهبوطا"[2].

- **الفخر**:

تطرق ابن خميس لغرض الفخر في شعره لكنه لم يفرد له قصائد مستقلة بذاتها، بل كان فخره يرد مضمنا في سياق ما كان ينظم من

---

[1] السابق. ص65-66.

*إقماء: إذلال. أرزاء: مصائب. تلعة:ربوة. طأطأ: هبوط.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات. ج10. ص 138.

قصائد، ومن النماذج التي نستدل بها، هذه الأبيات التي أنهى بها قصيدته المدحية في بني العزفي، مفتخرا بأمجاد العرب القحطانيين، قائلا[1]:

إنا -بني قحطان- لم نخلق لغيـ ـــر غياث ملهوف ومنعة لاجى

....

بسيوفنا البيض اليمانية الـتي طبـــعت لخز غلاصم ووداج*

تأبى لنا الاحجام من أعـــدائنا يـــوم اللقاء طهارة الأمشاج

يفتخر شاعر في هذه الأبيات بأصله العربي القحطاني ذاكرا في ذلك فضائل بني القحطان وشمائلهم، فهم -في نظره -لم يخلقوا إلاّ لإغاثة ملهوف، وحماية لاجئ، ثم يعرج بعدها مفتخرا بسيوفهم البيض اليمانية التي صنعت لأجل قطع الأعناق، وعلى هذا فان أعداءهم يهابونهم من فرط شجاعتهم وقوتهم.

وأما عن افتخاره بنفسه فيقول:[2]

خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة جاءتك لم ينسج على منوالها

ما جال في مضـــمارها شعر ولا سمحت قريحة شاعر بمثلها

يفتخر ابن خميس في هذين البيتين بمقدرته الشعرية الفذة، وهو في ذلك يوجه خطابه لأبي الفضل بن يحيي ويتحداه أن يجد شاعرا ينظم له قصيدة على شكل قصيدته هذه في شكلها أو في مضمونها.

- الحنين:

كان لغرض الحنين حضور بارز في شعر ابن خميس، فمنذ أن غادر تلمسان مكرهًا وقلبه مرتبط بربوعها، وهو في ذلك متفائل في تذكر

[1] عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس في شعر بن خميس. ص 83-84.

*غلاصم: مفرد غلصم: العنق، وداج: عرق في العنق.

[2] نفسه. ص 121.

لحظات أنسه فيها تارة، وتارة أخرى باكيا من شده اغترابه عنها، ومن القصائد التي نستدل بها على شوقه وحنينه لتلمسان، قوله[1]:

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ*
وداري بها الأولى التي حيل دونها مثار الأسى لو أمكن الحنق اللبخ
وعهدي بها والعمر في عنفوانه وماء وشبابي لا أجين ولا مطخ

تعدّ هذه الأبيات مفتتح قصيدة ابن خميس التي مدح بها أمراء بني العزفي لما وصل سبتة، وكما نلحظ أن افتتاح ابن خميس لهذه القصيدة بالشوق إلى تلمسان وعهده بها، هو في الحقيقة تعبير منه عن تعلقه بها، فهو كما صرح " يتشوق لمشاهدها، ويتأوه من تذكره لمعاهدها، فهي عنده أفضل من دار السلام والكرخ (متمنيا من الزمان أن) يجود عليه برجعة إلى داره الأولى، ومسقط رأسه، ومرتع صباه، أين قضى أيام عمره الأولى"[2].

ومما قاله، أيضا في شوقه إلى تلمسان وحنينه إليها[3]:

تلمسان جادتك السحاب الدوالح وأرست بواديك الرياح اللواقح**
وسح على ساحات باب جيادها ملث يصافي تربها ويصافح
يطير فؤادي كلما لاح لامع وينهل دمعي كلما ناح صادح
....
كتمت هواها ثم برح بي الأسى وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح

[1] السابق. ص 96.

*دار السلام: بغداد، الكرخ: بغداد الشرقية، اللبخ: الضرب والكتم، أجن الماء: تغير لونه وطعمه، المطخ: الدنس.

[2] علي بوزيزة: ابن خميس التلمساني شاعرا. ص 92.

[3] عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس في شعر بن خميس. ص 85.

**لواقح: المراد تحمل لقاح النباتات، باب الجياد: موضع بتلمسان، ملث: المطر يدوم أياما، متح الماء: استخرجه من البئر، الصادر: المغني يرفع صوته.

وفي تعليق محمد الطمار على هذه القصيدة الطويلة يقول:" فإن ابن خميس كما ترى لا يغفل عن تلمسان، يعطيها حقها في كثير من القصائد، ومن البديهي أن لا ينساها، فهي مسقط رأسه ومربع صباه، ومن جهة أخرى فإنه يعيش بالأندلس الساحرة بسمائها وهوائها ومياهها وبساتينها فأينما اتجه رأى ما يذكره ببلدته، فتجيش عينه وتهيج أشجانه، فينفجر خاطره كالبركان حنينا وشوقا"[1].

- **الوصف:**

لقد منحت الطبيعة الأندلسية المدهشة في جمالها للشعراء جوا خصبا في وصف رياضها ومباهج جناتها، حتى أصبح وصف الطبيعة من أبرز أغراض الشعر عندهم، فقد تهيأت لهم أسباب الشعر ودواعيه، فشغفت بها القلوب وهامت بها النفوس[2].

والناظر في ما وصلنا من شعر ابن خميس يجده قد ردد في مواضيع كثيرة من أبياته الشعرية تغنيه بالطبيعة وجمالها سواء الصامتة (الجامدة) أو الصائتة (الحية)، ومن النماذج التي نستدل بها على توظيفه الطبيعة الصامتة ذكره الأزهار، لما قال متغزلا[3]:

نظرت إليك بمثل عيني جؤذر وتبسمت عن مثلي سمطي جوهر*
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو كالطلع أو كالأقحوان مؤشر

يتغزل الشاعر في هذين البيتين بامرأة جميلة، حيث ماثل حسن أسنانها في تبسمها بزهر الأقحوان.

---

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 133.

[2] لمياء علي حسين: شعر الطبيعة في الأندلس أسبابه وخصائصه. ينظر الموقع الالكتروني:
http://altaakhipress.com/viewart.php?art=117164#_ftn2

[3] عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس في شعر ابي عبد الله بن خميس. ص 110.

*الجؤذر: ولد البقر الوحشي، الطلع: نوع من النبات يخرج كأنه نعلان، الأقحوان: زهر أبيض.

أما ما قاله في الطبيعة الحية فنجد ذكره لهديل الحمام حين مدح الرحالة المغربي ابن رشد السبتي، في قوله[1]:

ومما يشرد عني الكرى هديل حمام اذا نمت صاحا
ينوح عـــلي وأبكي له فـــأقطع ليلي بكا ونياحا

يقر ابن خميس في هذين البيتين عن مدى شدة شوقه لرؤية صديقه ابن رشد، لكنه بسبب هديل الحمام يشرد نومه، ويطول ليله فكلما أغفا لحظة أيقظه صياحه، فيزيده شوقه لصديقه بكاء ونياحا[2].

- **الزهد والتصوف:**

انتشر شعر الزهد والتصوف في العصر الأندلسي حيث مثل اتجاها شعريا بارزا، ومذهبا أدبيا وأخلاقيا لدى العديد من الشعراء، ويعد ابن خميس أحد هؤلاء شعراء الذين نظموا في هذا الغرض الشعري وأبدعوا فيه.

والمتأمل في ما وصلنا من شعره أنه صاحب دعوة إلى نمط حياتي يقوم على الابتعاد عن ملذات الحياة الدنيوية في المقابل يحث على التقرب من الله بأنواع العبادات والسلوكات الروحية، ومما قاله في التنبيه عن ترك الدنيا وتجنبها[3]:

لكنها الدنيا تكـــر على الفتى وإن كـــان منها في أعز نصاب
وعادتها أن لا توسط عنـــدها فإما سماء أو تخـــــوم تراب
فلا ترج من دنيـاك ودا وإن يكن فما هو الأمثل ظل سحـــــاب
وما الحزم كل الحزم إلاّ اجتنابها فأشقى الورى من تصطفي وتحابي

[1] السابق. ص 90.

[2] علي بوزيزة: ابن خميس التلمساني شاعرا. ص 115.

[3] المقري: نفح الطيب. ج5. ص 367.

يقف الشاعر من خلال هذه الأبيات موقف الناصح الواعظ المحذر من الدنيا وزخرفها " فالدنيا عند الشاعر تحمل على الفتى وإن كان محظوظا، فإما أن ترفعه وإما أن تذله (...) لذلك (فهو) يقدم نصيحة لتركها، ويخاطب من يرجو ودّها ويتمنى محبة منها، بأن لا يفرح بذلك فما هو إلاّ ظل سحاب سرعان ما يزول، فالأفضل تركها وتجنبها"[1].

ومما قاله أيضا في ترك الدنيا وضرورة الابتعاد عن زخرفها، قوله:[2]

أترك بني الدنيا وأعرض عنهم فعساك تطعم لذة الإثلاج*

ولا يكتفي الشاعر - في هذا السياق - بالتعبير عن أفكاره الزهدية بل يتجاوزها إلى عالم التصوف وروحانيته الطاهرة، ومن النماذج الشعرية التي تشهد له على عرفانيته الصوفية قصيدته المشهورة التي نجتزئ منها هذه الأبيات[3]:

عجبا أيذوق طعم وصالها من ليس بأمل أن يمر ببابها
وأنا الفقير إلى تعلة ساعة منها، وتمنعني زكاة جمالها
كم ذاد عن عيني الكرى متألق يبدو ويخفى في خفي مطالها
يسمو لها بدر الدجى متضائلاً كتضاؤل الحسناء في أسمالها
وابن السبيل يجيء يقبس نارها ليلاً فتمنحه عقيلة مالها
يعتادني في النوم طيف خيالها فتصيبني ألحاظها بنبالها

إن المتأمل في هذه القصيدة يجدها مشحونة بالمعرفة الصوفية ورموزها الروحانية التي تتجاوز معناها الظاهري إلى دلالات أخرى عرفانية تعبر عما يجول بداخل الشاعر من أفكار وحقائق روحانية ولطائف وهابية،

[1] علي بوزيزة: ابن خميس التلمساني شاعرا. ص 119.

[2] نفسه. ص 80.

* الاثلاج: الطمأنينة.

[3] المقري: نفح الطيب. ص 368.

وقد أجاد ابن خميس اجادة ملحوظة في إخفاء معانيه الروحية خلف رمز الأنثى كعادة شعراء التصوف الذين جعلوا من المرأة برمزيتها العرفانية عتبة انطلاق نحو المطلق وروحانيته الطاهرة.

ولعل الذي نختم به كلامنا حول تجربة ابن الخميس التلمساني الشعرية، بالرغم من قلة النصوص التي وصلتنا من شعره، أنه كان نموذجا لشاعر جزائري فحل أبان " عن ذكاء وقاد، وعاطفة صافية، وبراعة في التعبير، وأنه جمع بين الجودة والفخامة والسهولة والمتانة، ومسحة التصوف التي تكسو غالب شعره تحليه وتحببه"[1]، فكان بحق أهم شعراء المائة السابعة في الجزائر بل في المغرب العربي والأندلس عامة.

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري. ص 142.

المحاضرة الرابعة عشر أبو العباس الغبريني(644 -704هـ)

أولا: في التعريف بأبي العباس الغبريني

هو أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني وكنيته أبو العباس، اشتهر باسم الغبريني نسبه إلى(بني غبرين) أحد بطون القبائل الأمازيغية في المغرب الأوسط، ولد أواسط المائة السابعة وتحديدا سنة 644هـ[1].

اختلف في مراحل نشأته الأولى بين من يرى أنها كانت في موطن عشيرته في ضواحي مدينة «أعزازقة» في أعلى «وادي سباو» بالقرب من بجاية، وبين من يقول في بجاية بالذات[2].

هذا، ولم تذكر مصادر السير والتراجم التي ترجمت للغبريني شيئا عن أصله ونسبه، باستثناء ما أشارت إليه من أنه عاش في أسرة علمية توارثت العلم ونبغ فيها عدد من الأعلام أمثال: أبي النجم هلال علي الغبريني (ت القرن 07هـ)، وأبي القاسم أحمد بن أحمد الغبريني (ت بعد 770هـ)، وابنه أحمد بن أحمد بن أحمد أبو سعيد الغبريني[3].

انكب الغبريني منذ صغره على حفظ القرآن الكريم وعلوم الفقه والتفسير والحديث والعربية غيرها من العلوم التي كانت سائدة في عصره[4] عن طريق كوكبة كبيرة من الشيوخ والعلماء والفقهاء والأدباء والمتصوفة، وقد ترجم لأغلبهم في كتابه عنوان الدراية[5].

---

[1] الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 9.

[2] نفسه. ص 9.

[3] السعيد عقبة: المؤرخ ابو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. مجله المعارف للبحوث والدراسات. العدد07. ص 375-376.

[4] الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 9.

[5] السعيد عقبة: المؤرخ أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 378.

إن منزلة الغبريني العلمية جعلته يتولى القضاء في مواضع عدة آخرها مدينة بجاية، وقد كان في حكمه -والقول للنبهاني -"شديدا مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه، وحفظ لفروعه، وقيام على النوازل"[1].

لقد كان الغبريني بالنظر لمكانته " على اتصال بالمسؤولين وغيرهم من رجال الدولة، يجالس الكبراء ويناقش الحكام، ويدلي برأيه في المسائل الهامة، ولا يبعد أن يكون قد لعب دورا في سياسة بلده، فقد كانت السياسة من مستلزمات منهم في منزلة الغبريني وجاهةً وعلماً ودرايةً"[2].

هذا، لم تذكر كتب السير والتراجم التي اهتمت بحياة الغبريني بأن الرجل صاحب تآليف عديدة، بل اكتفت بذكر مصنف واحد وهو كتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»، أما شعره فلا يزال مخطوطا في مكتبات المغرب الأقصى، وما وصلنا منه سوى بيتان ذكرهما النبهاني لما ترجم له قائلا: " ومن أناشيده:

لا تنكحن سرك المكنون خاطبه واجعل لميّته بين الحشا جدثا

ولا تقل نفثه المصدور راحته كم نافثا روحه من صدره نفثا"[3].

ومما لا يخفى علينا فيما ذهب إليه المؤرخون أن وفاة الغبريني كانت ببجاية، لكنهم اختلفوا في السنة التي توفي فيها، فهناك من يجعلها سنة 714هـ[4]، ومنهم من يقول بأنه توفي سنة 707هـ وهو الأرجح[5]، فيما ذهب إليه إليه ابن خلدون.

---

[1] النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس. دار الآفاق الجديدة. بيروت لبنان.ط5. 1983. ص 132.

[2] الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 10.

[3] النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس. ص 132.

[4] الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 14.

[5] النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس. ص 132. وينظر أيضا: ابن خلدون: المبتدأ والخبر. ج6. ص 462.

ثانيا/ في التعريف بكتابه ومنهجه فيه.

يعدّ كتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية » من أبرز الآثار العلمية التي تعطينا صورة واضحة على الحركة العلمية والفكرية التي كانت عليها بجاية خلال المائة السابعة للهجرة[1]، "فقد حفظ لنا صورة صادقة عن الحياة العقلية في مدينة بجاية في مدة قرن كامل (...) ولولا هذا الكتاب لظلت أكثر هذه الصفحات من تاريخ الحركة العلمية الجزائرية مجهولة"[2].

ضم الغبريني في هذا الكتاب تراجم العلماء الذين قطنوا ببجاية خلال القرن 7هـ، وأضاف إليهم بعضا ممن عاشوا أواخر القرن6هـ، حيث يقول في مقدمة كتابه:" واني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات، وجعل ما بعدها مبدأ للمسرات، أذكر منهم من اشتهر ذكره، ونبل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته، وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة، ذكر الشيخ أبي مدين والشيخ أبي علي المسيلي والفقيه أبي محمد عبد الحق الاشبيلي رحمهم الله ورضي عنهم، لقرب عهدهم بهذه المائة، لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم، ولانتشار فخرهم ... وأبدأ بهم رضي الله عنهم، ثم أتلوهم بذكر مشيختي، وأعلام إفادتي، ثم أتلوهم بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم رحمهم الله "[3].

ونشير هنا، أن الغبريني لم يقتصر على الترجمة للعلماء البجائيين بل تعداه العلماء الوافدين على هذه الحاضرة مثل الأندلسيين والمشارقة، حيث

---

[1] السعيد عقبة: المؤرخ أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 379.

[2] الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 15.

[3] نفسه. ص 20.

ترجمه لـ:109 شخصية علمية وفكرية، كان نصيب تراجم البجائيين الجزائريين 65 عالما، أما الأندلسيون المهاجرون إلى بجاية فعددهم 36 عالما، بينما كان عدد المشارقة الوافدين على بجاية 08 علماء[1].

اعتمد الغبريني في كتابه على منهج واحد في التعريف بأعلام العلماء إذ يبدأ " بذكر صاحب الترجمة (...) اسمه وكنيته وصفته، كما يذكر في بعض الأحيان نسبه ويتحقق من ذلك، ثم يصف حاله متعرضا لما عرف عنه من عناية بعلم أو أدب أو فقه، ويختم الترجمة بنبذة من شعر المترجم له إن كان شاعرا، و نماذجا من حكم أو أقوال المترجم له إن وجد ذلك، ويتعرض الغبريني في بعض التراجم إلى رحلة صاحبها إن كان من الوافدين على بجاية، أو من الأندلسيين الذين استقروا بها"[2].

هذا، وقد انتهج الغبريني في عرضه لتراجم أعلامه أسلوبا مسجوعا لازمه ملازمة تامة "من عنوان كتابه نفسه إلى أخر سطر من سطور صفحاته، كما أنه أغرم بالجمل القصيرة والتزيينات اللفظية، فعمد في ترجماته إلى صيغ وعبارات تكاد تكون واحدة في الأسلوب، فعبارة (الفقيه المجتهد المحصل المتقن) مثلا، وكذلك عبارة (الفقيه الصالح الزاهد الورع) نجدها[تتكرر] (...) دون تميز أو تفريق بين أديب وشاعر ومحدث ومؤرخ" [3]، وهذا ما جعل محقق كتابه ينتقد هذا الأسلوب في الكتابة بقوله: "فلو اعتمد على وضع كل وصف أو نعت في مكانه اللائق أو اللازم له"[4] لكان أوضح وأبين.

---

[1] السعيد عقبة: المؤرخ أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 380-381.

[2] نفسه. ص 382.

[3] الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ص 12.

[4] نفسه. ص 13.

لكن، مهما يكن من أمر، فإن الذي يجب قوله ونحن نختم حديثنا عن الغبريني وكتابه أن هذا الأخير يبقى مصدرا هاما ومهما من مصادر الثقافة الجزائرية القديمة خلال القرن السابع للهجرة، لما حواه من تراجم للأعلام وما تضمنه من نصوص شعرية ونثرية على حد سواء، حيث كشف لنا جانبا من جوانب ثقافتنا الجزائرية القديمة خلال المائة السابعة.

المحاضرة الخامسة عشر: ابن ميمون الجزائري (المتوفى بعد 1120هـ)

أولا: في التعريف بابن ميمون.

أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري، فقيه صوفي، له مشاركة في الأدب والتاريخ، نشأ في الجزائر وتوفي بها[1]، لم تذكر كتب السير والأخبار شيئا عن حياته وسيرته باستثناء أنه صاحب كتاب « التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية» الذي ألفه خصيصا ليحكي جانبا من سيرة الولي العثماني محمد بكداش.

وفي محاولة محمد عبد الكريم محقق «التحفة المرضية» إماطة اللثام عن بعض جوانب حياة ابن ميمون قال بأنه كان معاصرا " للداي محمد بكداش وصهره أوزن حسن، ونحن نعلم أن هذين الرجلين قد أمد الله في حياتهما حتى سنة 1122هـ - 1710م حيث قتلا على يد الداي إبراهيم، كما نعلم -أيضا - أن هذه الشخصية كانت تعاصرها زمرة من أدباء العصر والقطر وفقهائهما وقد ذكر ابن ميمون نفسه بعضا من هذه الزمرة التي منها شيخه أبو عبد الله محمد التُغيْري* الجزائري"[2].

لقد كان ابن ميمون -والقول لمحمد عبد الكريم -مشاركا في جميع فنون عصره وبخاصة علمي الفقه والتصوف، حيث برز فيهما بروز

---

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص 113.

[*] التغيري: ناظم، فقيه، من أهل مدينة الجزائر. له قصيدة في فتح وهران، وله أيضا موضح السر المكنون على الجوهر المكنون في الثلاثة فنون الذي فرغ منه سنة 1115هـ، ما يعني أن وفاته تكون بعد هذا التاريخ، ينظر عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر. ص 91-92.

[2] محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. تحقيق: محمد عبد الكريم. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط2. 1981. ص12.

علماء عصره، أما أدبه فيظهر عليه مسحة حفظ الأشعار والأسجاع كيفما كانت قيمتها لفظا ومعنى[1].

وننبه، هنا، أن هذا الحكم النقدي على أدب ابن ميمون حكم مستخلص بالقياس إذا ما وظفه في كتابه «التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية» لأننا لم نجد - في حدود اطلاعنا - على أي مصنف، أو تأليف آخر للرجل غير كتابه هذا الذي جمع فيه التاريخ والأدب والسيّر، وصاغة على شكل مقامات تعالج جانبا من سيرة الولي العثماني محمد بكداش، وأعماله خلال فترة حكمه للجزائر خلال السيطرة العثمانية.

ثانيا: في التعريف بكتابه ومنهجه فيه

نص ابن ميمون في مقدمة كتابه على العنوان الذي ارتضاه اسما لمصنفه وعلى المضمون الذي ضمنه بين دفتيه، قائلا: "وسميته بالتحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محتويا على مقامات ست عشر، كأنها حكت قلائد العقيان ودرره، والله أسال أن يتلقاه بالقبول، جميع من هو لا حظ لهذا القول"[2].

ومن على شرفة هذا العنوان، يستغرب أبو القاسم سعد الله تسمية الكتاب بهذا الاسم، قائلا: "والغريب أن ابن ميمون قد سمى كتابه في ذلك التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ولم يسمه مثلا المقامات المرضية أو نحو ذلك من التسميات التي تتسق مع المحتوى"[3].

---

[1] محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. ص 13.

[2] نفسه. ص113.

[3] ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص 208.

ومهما يكن من أمر، فإن ابن ميمون قد تناول في هذا الكتاب سيرة الداي محمد بكداش خلال فترة توليه الحكم، مشيدا برأيه المصيب وأعماله المرضية، قاصدا من وراء مصنفه المدحي هذا التقرب إلى الداي ونيل رضاه[1]، حيث يقول في مقدمة كتابه " وبعد: فإني لما رأيت مولانا الإمام، الذي أنام في ظل الأمان جميع الأنام، عالم الأمراء، وأمير العلماء، مولانا فخر الدولة العثمانية، وناشر لواء العدل على جميع البرية.

أبو النصر السيد محمد بكداش أنارت أنواره جميع البلدان، والتف ملكه بالإحسان التفاف الساق بالساق أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه، المحتوى على ما نشر من السيرة المحمدية عليه، وأشرّف محاسنه بمصوره بين يديه فوسمته باسمه وكسوته نور وسمه..."[2].

قسم ابن ميمون كتابه السالف الذكر إلى مقدمة وستة عشر مقامة؛ زاوجت في بنائها بين الوقائع التاريخية والطرائف الأدبية والنصوص الشعرية[3].

ففي مقدمة الكتاب لم يشذ ابن ميمون عما درج عليه أصحاب المصنفات القديمة من: بسملة وحمدلة وذكر لعنوان الكتاب والغرض الذي صنفه من أجله، وبعد هذه المقدمة تتوالى المقامات واحدة بعد الأخرى بحيث جعل لكل مقامة عنوانا خاصا بها، وهي على النحو الآتي:

المقامة الأولى/ في نبذة من أخلاقه المرضية، ومما أشار به عليه بعض السادات الصوفية: وضمن في هذه المقامة حديثا عن اسم والد الداي محمد بكداش، والتنبؤ لولَده برئاسة الجزائر، كما ضمنها أيضا ذكر بعض

[1] محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. ص 83-84.

[2] نفسه. ص 112-113.

[3] نفسه. ص 86.

المناصب التي تقلدها بكداش قبل أن يصبح دايا ، وقد أدرج في هذه المقامة بيتين من الشعر[1].

المقامة الثانية/ في كونه سانجاق دار*، بلغة المجاهدين الأخيار: وتتضمن حديثا عن تاريخ إسناد منصب اللواء إلى محمد بكداش، وتاريخ صعوده للمنبر وإلقاء خطبته على الناس، وقد أدرج في هذه المقامة خمسة عشرة بيتا من الشعر[2].

المقامة الثالثة/ في توليته على تقسيم خبر العسكر وكيف نزع الظالم حين طغى وتجبر: وتضم هذه المقامة حديثا عن تولية محمد بكداش منصب مقتصد العسكر، وكيف ثار على داي العهد الحاج مصطفى ونزع الظلم على الجزائريين. وقد أدرج في هذه المقامة أربعة عشر بيتا شعريا[3].

المقامة الرابعة/ على أنه يتصدى ملكا للإيراد والإصدار، فزحلق نفسه إلى تفتر دار: وتضم حديثا على إسناد منصب رئيس ديوان الإنشاء وكاتب عام للدولة إلى محمد بكداش، وما صاحبه من حسد الحساد في تعكير الجو بينه وبين الداي حسين خوجة الشريف والذي نفاه من الجزائر، وقد أدرج في هذه المقامة مائة وثلاثة وعشرين بيتا من الشعر[4].

---

[1] السابق. ص86.

* سانجاق: هو اللواء في اللغة التركية.

[2] نفسه. ص86.

[3] نفسه. ص 87.

**تفتر دار: كلمة تركية، ومعناها رئيس ديوان الإنشاء.

[4] نفسه. ص 87-88.

المقامة الخامسة/ في تغريبه من الجزائر ورجوعه إليها بقدر الحكيم القادر: حيث تضمنت هذه المقامة تاريخ نفي محمد بكداش من الجزائر إلى طرابلس الغرب وكيف عاد من منفاه إلى الجزائر[1].

المقامة السادسة:في استفتاح الملك صباحا وما جرى لأهل الدولة غدوا ورواحا: وتضمنت المقامة حديثا عن إسناد منصب الداي إلى محمد بكداش، ووقوف صهره "أوزن حسن" إلى جانبه، وقد أدرج في هذه المقامة ثلاثة أبيات شعرية[2].

المقامة السابعة/ في اسمه وأهل مملكته ورسمه: تحتوي هذه المقامة تعريفا بالداي محمد بكداش من حيث صفته، أبناؤه، أصهاره، ووزراءه، كتابه، نقش خاتمه، ترجمانه، قضاته[3].

المقامة الثامنة/ في تهنئة الشعراء ومدحهم له تعريف كل واحد بما سطره أو نقله: وتضم هذه المقامة تهنئة الشعراء والأدباء والعلماء لمحمد بكداش بتوليه منصب داي الجزائر، وقد أدرج ابن ميمون في هذه المقامة ثلاثمائة واثنين وسبعين بيتا من الشعر[4].

المقامة التاسعة/ في ذكر الخروج لوهران بقصد غزوة الكفرة وما حدث بعدها من مقاتلة اللثام الفجرة: وتضم هذه المقامة حديثا عن استيلاء الإسبان على مدينة وهران، وكيف استطاع محمد بكداش فتحها تحت قيادة صهره "أوزن حسن"، وقد أدرج ابن الميمون في هذه المقامة اثنين وسبعين بيتا من الشعر[5].

---

[1] السابق. ص 88.

[2] نفسه. ص 88.

[3] نفسه. ص 88.

[4] نفسه. ص 89.

[5] نفسه. ص 89.

المقامة العاشرة/ في حصر حصن العيون*، وكيف استفتحه - عنوة - المسلمون: وتظم هذه المقامة حديثا عن حصر القائد أوزن حسن لبرج العيون والاستيلاء عليه[1].

المقامة الحادية عشر/ في استفتاح حصن الجبل، وكيف نزعه من أيدي الكفرة عن عجل: وتضم هذه المقامة مراحل الهجوم على برج الجبل وكيف انهزم الاسبان[2].

المقامة الثانية عشر/ في حصر حصن بن زهوة، وكيف استفتحه المسلمون عنوة: وتضم هذه المقامة حديثا عن فتح برج ابن زهوة وهو برج يهودي اعتنى الاسبان بتحصينه لكنه لم يصمد أمام هجمات المسلمين[3].

المقامة الثالثة عشر/ في استفتاح مدينه وهران، وكيف صار عز الكفرة إلى الهوان: وتضم هذه المقامة وصفًا لمدينة وهران، وتوضيحا للمراحل التي مر بها فتحها، وقد أدرج ابن ميمون فيها أربعين بيتا من الشعر[4].

المقامة الرابعة عشر/ افتتاح برج الأحمر والجديد وكيف القوا لأبي الفتوح المقاليد: تضم هذه المقامة حديثا عن فتح برج الأحمر والجديد، كما أدرج فيها ابن ميمون قصيدة تبلغ أربعة وأربعين بيتا في مدح الداي وتهنئته بهذا الفتح[5].

---

* حصن العيون: يقال له أيضا برج العيون وبرج الونيسي نسبة لأحد رؤساء المدينة المسمى بابن الونيسي شيده الإسبان لحماية العيون التي يستقي منها أهل البلاد.

[1] السابق. ص 89.

[2] نفسه. ص 90.

[3] نفسه. ص 90.

[4] نفسه. ص 90.

[5] نفسه. ص 91.

المقامة الخامسة عشر/ في حصر حصن المرسى، وكيف افتتحه المسلمون وزال باختتامه الأسى: تضم هذه المقامة وصفا رائعا للمعارك الحربية في فتح حصن المرسى، وقد أدرج فيها ابن ميمون مائة وبيتين من الشعر[1].

المقامة السادسة عشر/ في إياب خليفة سيد - نصره الله - للجزائر، سالما غانما بالأسرى والذخائر: وهذه آخر مقامات الكتاب وتضم وصف عودة الداي وصهره أوزن حسن إلى الجزائر، بعد فتحهم لوهران وانتصارهم على الاسبان، وختمت هذه المقامة بعشرة أبيات شعرية[2].

وما يلحظ على أسلوب ابن ميمون في تأليفه لهذا الكتاب أنه أسلوب متين اللفظ قوي التعبير، مبتعد عن الغموض والإغراب إلاّ ما ورد عرضا عن غير قصد، ولا يحيد عن السجع إلاّ في مواضع قليلة، مقتبسا من القرآن الكريم والحديث الشريف، ومطعما متن نصوصه بما يناسب سياقاتها بقصائد أو أبيات شعرية[3].

لقد حاول ابن ميمون أن يجعل كتابه في شكل مقامات " وكل مقامة عبارة على وحدة قصصية تخص موضوعا معينا، ولكنه كان مجبرًا، وهو يتناول شخصيات تاريخية وأحداث واقعية، أن يكتب التاريخ لا الأدب وأن يسجل الوقائع لا الخيالات" [4]، ومن هذه الوجهة عد عمله -في نظر النقاد - أقرب إلى التاريخ منه إلى المقامة لانعدام عنصري الحكاية والخيال.

وجماع القول عن كل ما مضى أن ما أبدعه ابن ميمون في كتابه - بغض النظر عن أحكام وآراء النقاد فيه - يبقى عملا أدبيا أصيلا، ومصدرا مهما من مصادر الأدب الجزائري خلال حكم العثمانيين.

---

[1] السابق. ص 91.

[2] نفسه. ص 91.

[3] نفسه. ص 85.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص 209

المحاضرة السادسة عشر: ابن حمادوش الجزائري (1107 -1200هـ)

أولا: في التعريف بابن حمادوش.

أبو الحسن عبد الرزاق بن الحاج محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري، من مواليد مدينة الجزائر سنة (1107هـ - 1695م) وتوفي بعد حوالي 90 سنة أي تقريبا سنة 1200هـ في مكان وتاريخ غير معلومين[1].

درس ابن حمادوش على طريقة أبناء بلده حيث حفظ القرآن وتلقى مبادئ "العلوم الشرعية من معاصريه قراءة إجازة، في الفقه والأدب والتاريخ والتصوف، غير أنه كان ميالا للجانب العلمي فدرس العلوم الطبية والرياضيات والفلك، ولهذه الميول العلمية التي ميزته، واسترساله في الكتابة عنها جعلت مؤلفاته ذات طابع مخالف لما شاع عند معاصريه كمحمد بن ميمون، أحمد بن عمار"[2] وغيرهم.

لقد كان لولع ابن حمادوش واهتمامه بالعلوم العلمية وخصوصا الطب والفلك أثره البارز فيما ألف من تصانيف، فقد ذكر في رحلته أنه توج هذا الاهتمام بتأليف كتابين في علم الطب وفروعه وسمه بـ«الجوهر المكنون من بحر القانون»، والثاني وسمه بـ«تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج»، كما ألف عدة رسائل وكتب في الفلك، بلغت حسب ما ذكره أبو القاسم سعد الله

---

[1] عبد الرزاق بن حمادوش: لسان المقال في النبأ عن والحسب والحال. تحقيق: أبو القاسم سعد الله. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. (د ط).1983. ص 09.

[2] بكاري عبد القادر: عبد الرزاق بن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بـ لسان المقال في النبأ عن والحسب والحال. ينظر الموقع الالكتروني: https://binbadis.net/archives/7466

ثمانية عشر تأليفا علميا[1]، إلى جانب مؤلفات أخرى في الأدب والرحلة والمنطق، لكن معظم هذه التآليف غير موجودة وهي في حكم الضائعة[2].

ونشير هنا أن فضل معرفتنا بما ألفه ابن حمادوش يعود لما ضمنه في رحلته من مؤلفاته، حيث ذكر فيها جميع تآليفه ، وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى ذلك، بقوله:" وباستثناء التأليفين الأخيرين، فإن جميع بقية التآليف قد ذكرها في الجزء الثاني من رحلته"[3].

فليس غريبا ، والأمر على ما أقررنا ، أن تكون رحلة ابن حمادوش من المصادر الهامة لحياة المؤلف نفسه، وفي الآن نفسه جزءا من التراث العلمي والأدبي والثقافي للجزائر العثمانية، فقد شهدت رحلته، والقول لأبي القاسم سعد الله " أنه كان رحالة كثير الاهتمام بطبائع الناس وغرائب الأشياء، دقيق الملاحظة، ولو عثرنا على آثار أخرى أو بعضها لتكشف لنا منه شخصية قليلة الوجود في ذلك العصر"[4].

ثانيا/ في رحلة ابن حمادوش ومضمونها

تعدّ رحلة ابن حمادوش الموسومة بـ «لسان المقال في النبأ عن النسب والحسد والحال» محصلة مجموعة رحلات قام بها لعدة بلدان مشرقا ومغربا والتي ابتدأها بأداء فريضة الحج سنة 1125هـ والثانية سنة 1130هـ، كما رحل إلى المغرب الأقصى في عدة مناسبات منها

[1] أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي.ج2. ص 428-431.

[2] نفسه. ج2. ص 431.

[3] نفسه. ج2. ص 431.

[4] عبد الرزاق بن حمادوش: لسان المقال في النبأ عن والحسب والحال. ص 10.

رحلات سنة 1145هـ وسنة 1156هـ[1]، والأكيد أن ابن حمادوش قد كتب عن رحلاته إلى الحجاز لكنها ضاعت ولم تصلنا، وما وصلنا مما كتبه إلاّ الجزء الخاص بالرحلة المغربية التي قام بها " لطلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر إلى تطوان ومكناس وفاس، ثم عاد إلى الجزائر من تطوان"[2].

لقد وصف ابن حمادوش في رحلته الحياة العلمية وجوانب من الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب، كما ضمنها أيضا أخبارا " عن تونس والجزائر وغيرهما، ولكن جانب الرحلة منه يتعلق بالمغرب"[3]، والذي لا ينكره جاحد والقول لأبي القاسم سعد الله " أن رحلة ابن حمادوش المغربية تعتبر مصدرا هاما عن المغرب في ذلك العهد لأهمية النصوص التي أوردها فيها ومشاهداته عيانا ما حدث من ثورات وتقاليد اجتماعية ونشاط العلماء ونحو ذلك"[4].

يفتتح ابن حمادوش رحلته بخروجه من الجزائر متجها إلى مدينة تطوان مرورا بجبل طارق حيث يقول: "بعد شروق الشمس خرجنا من جبل طارق، ألقينا مراسينا (...) فنزلت في الثانية منها إلى البر، وركبت دابة وحملت ثقلي على غيرها فدخلت تطوان في أول الساعة السابعة وصليت الظهر بها جماعة"[5]. ومن تطوان تنقل الى مكناس ومنها الى فاس.

---

[1] بكاري عبد القادر: عبد الرزاق بن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بلسان المقال في النبأ عن النسب والحسد والحال.

[2] أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي.ج2. ص 384.

[3] نفسه. ج2. ص 385.

[4] نفسه. ج2. ص 385.

[5] عبد الرزاق بن حمادوش: لسان المقال في النبأ عن والحسب والحال. ص 31.

نقل لنا ابن حمادوش في رحلته إلى المغرب الأقصى وصفا للحياة السياسية وبخاصة الصراعات حول السلطة بين حاكم تطوان أحمد الريفي ضد السلطان مولاي عبد الله[1].

أما عن الحياة الاجتماعية فذكر عادات المغرب في الاحتفال بالمولد النبوي[2]، واحياء التطوانيين لشعيرة عيد الأضحى[3]، كما ذكر بعض الظواهر الاجتماعية التي رأى أنها غرائب وعجائب وخاصة لدى أهل فاس[4]، أما ما تعلق بالحياة العلمية فذكر العلماء الذين زارهم والفقهاء الذين جالسهم وأخذ عنهم[5]، كما ذكر أيضا الجانب التجاري الذي سافر من أجله والمتمثل والمتمثل في بيع سلعته[6].

أما ما تعلق في حديثه عن الجزائر فذكر إلى جانب العادات والتقاليد الجزائرية[7] التاريخ المحلي للجزائر خلال الحكم العثماني عارضا في ذلك لمراحل حكم البشوات وفقا للترتيب التاريخي لكل حاكم[8].

هذا والحال أن ابن حمادوش انتهج في عرضه لهذه القضايا التي تناولها في رحلته أسلوبا أدبيا جمع بين الشعر والنثر، حيث يجد المطلع عليها صنوف الأدب ماثلة فيها، فمن النثر نجد المقامات والرسائل والقصص والأسانيد وغيرها، ومن الشعر نجد المدح والحنين والفخر والرثاء وغيرها من الأغراض الشعرية.

---

[1] السابق. ص75.

[2] نفسه. ص 84.

[3] نفسه. ص 107.

[4] نفسه. ص 94.

[5] نفسه. ص 40 ومابعدها.

[6] نفسه. ص 98.

[7] نفسه. ص 125.

[8] نفسه. ص 125.

أما الأسلوب الذي اعتمده ابن حمادوش في كتابة هذه الرحلة فهو أسلوب لغوي " سهل وبسيط، وعباراته فصيحة، وكثيرا ما يسوق الجمل سوقا عاميا لا يخضع لقواعد الإعراب، كما أن طريقة عرض الحوادث كثيرا ما يتخللها الانتقال والاستطراد ثم العودة إلى الموضوع الرئيسي"[1]، ولعل افتقارها إلى وحدة الموضوع والترابط العضوي جعل محققها يصفها بأنها "كشكول، في خليط من الحوادث والأفكار، والنقول، والمذكرات، الخ"[2].

ومهما يكن من أمر، فإن رحلة ابن حمادوش تعد بحق من أهم مصادر الأدب الجزائري بصفة خاصة والأدب المغربي بصفة عامة، لما تضمنته من حقائق ومعلومات سواء ما تعلق بعصره وأوضاعه السياسية والفكرية والاجتماعية أو ما تعلق بمعاصريه أفكارا وأخلاقا وأذواقا، أو ما تعلق بحياته هو نفسه، فهي في حقيقة الأمر مرآة حياته ونشاطه وتفكيره بعد أن ضاعت مؤلفاته الأخرى[3].

[1] بكاري عبد القادر: عبد الرزاق بن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بلسان المقال في النبأ عن النسب والحسد والحال.

[2] عبد الرزاق بن حمادوش: لسان المقال في النبأ عن والحسب والحال. ص 24.

[3] نفسه. ص 24

الخـــــــاتمة

الخـــــاتمة:

حاولنا من خلال المحاضرات المقدمة رسم صورة مشرقة عن الأدب الجزائري القديم منذ نشأته وعلى وجه التحديد منذ قيام إمارة الرستميين إلى آخر مرحلة من مراحله التاريخية؛ وهي فترة حكم العثمانيين. وقد تبين لنا خلال هذه المسيرة التاريخية بعض الحقائق التي يمكن عدّها نتائج أفرزتها لنا سيرورة البحث، كان من أهمّها:

- قبل الفتح الإسلامي للمغرب العربي كان المجتمع الجزائري مكونا من قبائل أمازيغية منتشرة في التخوم الجغرافية المسماة بالمغرب الأوسط.

- مكن انتشار الدين الإسلامي من انتشار اللغة العربية في الجزائر، مع محافظة بعض الأقاليم على لغتها الأمازيغية.

- تعد فترة الرستميين بحق البداية الفعلية لنشأة الأدب الجزائري القديم، وما وصلنا من أدب ينسب لها لا يعكس حجم التركة الفعلية لهذا النتاج بسبب ضياعه.

- كان الأدب الجزائري القديم خلال مسيرته التاريخية متباينا كما وكيفا قوة وضعفا.

- تميز الأدب الجزائري القديم خلال الفترة الرستمية بخصائص وسمات المدرسة المشرقية المحافظة.

- ما وصلنا من أسماء جزائرية في الفترة الأغلبية لا يعكس حجم الإبداع الأدبي في مجالي الشعر والنثر مقارنة بما تشهده القيروان من ازدهار ثقافي.

- تعـدّ الفـترة الحماديـة مـن أزهـى الفـترات الـتي شـهد فيهـا الأدب الجزائـري ازدهـارا كـبيرا ، إذ اتسـعت موضـوعات الشـعر وإغراضـه وظهـرت أخرى جديدة لم يعرفها الحماديون من قبل كالشعر القصصي عند قاضي ميلـة ، وشـعر التوسـلات عنـد ابـن النحـوي وشـعر الموشـحات عنـد يوسـف بـن المبـارك. أمـا النثـر فضـاع ولم يصـلنا منـه مـا يـدل علـى حجـم الازدهـار الـذي شهدته الجزائر الحمادية.

- كـان للاحتكـاك العلمـي الـذي وقـع بـين الجزائـر الموحديـة وأعـلام الثقافة المهاجرة من الأندلس -الذين استوطنوا تلمسان وبجاية -أثره العلمـي البارز في تطوير الأدب شعرا ونثرا.

- بالرغم من شح المصـادر في التعريـف بنتـاج الأدب الجزائـري خـلال الفترة الحفصية ، لكـن وصلنا منـه مـا يكفـي للتدليل علـى أنـه بقـي محافظـا على ازدهاره ورقيه الذي كان عليه في العهد الموحدي.

- تطـور الأدب الجزائـري خـلال العهـد الزيـاني تطـورا ملحوظـا كمـا وكيفا ، وبالرغم من الاحتكاك الحاصل بين مثقفيها وأعلام الثقافة المهاجرة من المشرق والأندلس فإنه لم يفقد مميزات شخصيته الجزائرية.

- بالرغم من حالة الوهن التي كانت عليها الثقافة الجزائرية في العهد العثمـاني، فـإن ذلـك لم يمنـع مـن ظهـور طائفـة مـن الأدبـاء الجزائـريين الـذين أبدعوا في نظم الشعر وأجادوا في كتابة النثر.

قـــــائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

– قائمة المصادر والمراجع:

أحمد بن عمار:

– نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب. مطبعة فونتانا. الجزائر. 1902.

أحمد توفيق المدني:

– كتاب الجزائر. المطبعة العربية. الجزائر. (دط). 1931.

ابن بشكوال:

– كتاب الصلة في تاريخ ائمة الأندلس. مراجعة: السيد عزت العطار الحسني. مكتبة الخانجي. ط2. 1655.

البشير الابراهيمي:

– آثار محمد البشير الابراهيمي. تقديم وجمع أحمد طالب الابراهيمي. دار الغرب الإسلامي. (دم) ط1. 1997.

البكري:

– المسالك والممالك. دار الغرب الإسلامي.(دم). (دط). 1992.

البوصيري:

– شرح المنفرجة لأبي الفضل النحوي. تحقيق: أحمد بن محمد أبو رزاق. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري. ط1. 1984.

الثغري التلمساني:

– الديوان. تحقيق: نوار بوحلاسة. مخبر الدراسات التراثيه. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر. 2004.

ابن حجر العسقلاني:

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق: محمد عبد المعيد ختان. مجلس دائرة المعارف العثمانية. صيد أباد. الهند. ط2. 1972.

أبو حمو موسى بن زيان:

– واسطة السلوك في سياسة الملوك. مطبعة الدولة التونسية. 1862.

ابن الخطيب:

– أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام. تحقيق: سيد كسروي حسين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

ابن خلدون:

– المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت –لبنان. (دط). 2000.

ابن خلكان:

– وفيات الأعيان. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت. ط1.ج4. 1971. --

– وفيات الأعيان. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت. ط1.ج6. 1994.

ابن الخلوف:

– الديوان. المطبعة السليمية. بيروت. (دط). 1872.

– ديوان جني الجنتين في مدح الفرقتين. تحقيق: العربي دحو. دار هومة. الجزائر. (دط). 2004.

رابح خدوسي:

– موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. منشورات الحضارة. (دط). 2014.

الرقيق القيرواني:

– تاريخ أفريقية والمغرب. تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب. دار الفرجاني للنشر والتوزيع. (دم). ط1. 1994.

ابن رشيق القيرواني:

– الديوان. جمعه: عبد الرحمن باغي. دار الثقافة. بيروت. لبنان. (دط). (دت)، 1989.

– العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد الدين عبد الحميد. دار الجيل. ط5. 1981.

- أنموذج الزمان في شعراء القيروان. تحقيق: محمد العروس المطوي وبشير البكوش. الدار التونسية للنشر. تونس. 1986.

سعيد المنداسي:

- الديوان. تحقيق رابح بونار. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. (دط). (دت).

السعيد بحري:

- الشعر في ظل الدولة الحفصية- دراسة تاريخية فنية- دار بهاء للنشر والتوزيع. الجزائر. ط1. 2009.

سليمان الباروني:

- الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية. مراجعة: محمد علي الصليبي. دار الحكمة. لندن. ط1. 2005.

سليمان بن عبد الله الموحد الأمير أبي الربيع:

- الديوان. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي وآخرون. منشورات كلية الآداب. جامعة محمد الخامس.

الشماخي:

- كتاب السير. تحقيق: أحمد بن مسعود السيابي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. (دط). 1987.

شوقي ضيف:

- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات. دار المعارف. القاهرة. ط1. (دت).

ابن الصغير:

- أخبار الأئمة الرستميين. تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحار. دار الغرب الإسلامي. (دط). (دت).

الصفدي:

- الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. دار احياء التراث. بيروت. 2000.

عبد الرزاق بن حمادوش:

– لسان المقال في النبأ عن والحسب والحال. تحقيق: أبو القاسم سعد الله. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. (د ط).1983.

عبد الكريم النهشلي:

– الممتع في صفة الشعر. تحقيق: محمد زغلول سلام. منشأة المعارف. الاسكندرية. (دط). (دت).

عبد المالك مرتاض:

– الأدب الجزائري القديم– دراسة في الجذور. دار هومة.

العبدري:

– رحلة العبدري. تحقيق علي إبراهيم كردي. دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع. (دم). ط2. 2005.

أبو العرب التميمي:

– كتاب طبقات علماء أفريقية. دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان. (دط). (دت).

العماد الأصفهاني:

– خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء المغرب. تحقيق: محمد المرزوقي وآخرون. الدار التونسية للنشر. النشرة الثالثة. 1986.

الغريني:

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. تحقيق عادل نويهض. منشورات دار الأفاق الجديدة. بيروت. ط2. 1979.

أبو القاسم سعد الله:

– تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي. ط1. 1998.

– شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية. دار الغرب الاسلامي. بيروت–لبنان. ط1. 1986.

عادل نويهض:

- معجم أعلام الجزائر. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر. بيروت. لبنان. ط2. 1980.

عبد الحميد حسين حمودة:

- تاريخ المغرب في العصر الاسلامي. دار الثقافة للنشر. القاهرة. ط1. 2006.

عبد الوهاب بن منصور:

- المنتخب النفيس في شعر أبي عبد الله بن خميس. مطبعه ابن خلدون. تلمسان.ط1. 1365هـ.

عصام عبد الرؤوف الفقي:

- تاريخ المغرب والأندلس. مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، (دط). (دت).

عمر فروخ:

- تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط2. 1985.

لسان الدين بن الخطيب:

- الاحاطة في أخبار غرناطه. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1424هـ.

مبارك الميلي:

- تاريخ الجزائر في القديم والحديث. تقديم وتصحيح محمد الميلي. المؤسسة الوطنية للكتاب.(دط)(دت).

محمد الحفناوي:

- تعريف الخلف برجال السلف. مطبعة بيير فونتانه الشرقية. الجزائر. 1906.

محمد الطمار:

- تاريخ الأدب الجزائري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. (دط). (دت).

محمد بن رزق الطرهوني:

- التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. ط1. 1426هـ.

محمد بن رمضان شاوش:

- الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد. المطبعة العلوية. مستغانم. 1966.

محمد بن ميمون:

- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. تحقيق: محمد عبد الكريم. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط2. 1981.

محمد صالح ميلاد الأسود:

- العلاقات العروب أمازيغية عمقها وتداخلها ودورها في التجانس الاجتماعي. دار حميثرا. القاهرة. ط1. 2018.

محمد علي داهش:

- الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف. دار الكتب العلمية. بيروت. 2010.

محمد العياشي:

- الرحلة العياشية. تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي. دار السويدي للنشر والتوزيع. أبوظبي-الامارات العربية المتحدة. ط1. 2006.

محمد محفوظ:

- كتاب تراجم المؤلفين التونسيين. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط2. 1994.

المراكشي:

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية. صيدا-بيروت. ط1. 2006.

ابن مريم التلمساني:

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. المطبعة الثعالبية. الجزائر. (دط). 1326هـ-1908م.

المقري:

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي. بيروت-لبنان. (دط). (دت).

النبهاني:

- تاريخ قضاة الأندلس. دار الآفاق الجديدة. بيروت لبنان.ط5. 1983.

ياقوت الحموي:

- معجم البلدان. دار صادر، بيروت. ط2. 1995.

يحي بوعزيز:

- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسه. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط1. 1995.

يحي بن خلدون:

- بغية الرواد في الملوك من بني عبد الواد. تحقيق: بوزياني الدراجي. دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع. الجزائر. (دط). 2007.

اليعقوبي:

- معجم البلدان. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1422هـ.

- المجلات والدوريات:

أمحمد بن لخضر فورار:

- بكر بن حماد التاهرتي الجزائري دراسة في سيرته وشعره. مجله العلوم الإنسانية. جامعه بسكرة، العدد 15، أكتوبر 2008.

- من شعر الطبني محمد بن الحسين تقديم وجمع (300هـ -394هـ). مجلة المخبر. جامعة بسكرة. العدد8. 2012.

باجي عبد العزيز وعبد الغفار بن هيمة:

- قراءة في مخطوط بشراك يا قلب للإمام عبد الكريم المغيلي: المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 13، العدد 4، جوان 2018م

جعيل أسامة الطيب:

- طبنة حاضرة اقليم الزاب والمغرب عبر العصور. مجلة قبس للدراسات الاجتماعية والانسانية. المجلد 2. العدد 2. ديسمبر 2018.

دريس بن خويا:

- الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي. مجلة الذاكرة. العدد 07. ماي 2016.

السعيد عقبة:

- المؤرخ ابو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. مجله المعارف للبحوث والدراسات. العدد07.

سياب خيرة:

- رحله الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة بالرحلة الأغواطية. دراسة طبيعية، اقتصادية، اجتماعية، عمرانية، المجلة الجزائرية للمخطوطات. العدد 13. جوان 2015.

عبد القادر قهلوز:

- قصيدة المنفرجة لأبن الجوزي دراسة وصفية تحليلية. مجلة المدونة. المجلد الخامس. العدد الثاني. 2018.

فاتح الزين شيخ إدريس:

- الفتوحات الإسلامية في المغرب وأثرها في انتشار العوة الإسلامية. المؤتمر الدولي الإسلامي في إفريقيا. الكتاب السابع. 27 -26 نوفمبر2006.

علاء الدين محمد رشيد:

- المنامات لون نثري في الأدب العربي دراسة في المنام الكبير للوهراني. مجلة جامعة تكريت. المجلد 19. العدد7.

محمد مرتاض:

– عبد الكريم الفكون من أعلام القرن العاشر الهجري. مجلة الفضاء المغاربي. ماي 2016.

نوال بلمداني:

– عرض رحلة أبو علي حسن بن فكون من قسنطينة إلى مراكش أنموذجا. مجلة القرطاس. العدد الخامس/ جوان. 2017.

– الأطاريح والرسائل الجامعية:

بخليلي السعيد:

– الشعر الجزائري في العصر الموحدي دراسة في موضوعاته وبنياته الفنية. أطروحة دكتوراه مخطوطة. جامعة بسكرة. 2016-2017.

جمال سعادنة:

– الشعر الجزائري في العهد العثماني. أطروحة دكتوراه العلوم. كلية الآداب واللغات. جامعة باتنة. 2010-2011.

جميلة راجاح:

– اسهامات علماء المغرب الأوسط في تنمية الدرس النحوي. أطروحة دكتوراه. جامعة تيزي وزو. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية وآدابها. 2015.

عبد الملك مغشيش:

– النثر المغربي في القرنيين الرابع والخامس الهجريين. أطروحة دكتوراه علوم. جامعة باتنة. كلية الآداب واللغات. 2014- 2015.

علي بوزيزة:

– ابن خميس التلمساني شاعرا. مذكرة ماجستير(نسخة الكترونية). كليه الآداب. جامعه تلمسان.2002- 2003.

فاطمة مطهري:

– مدينة تيهرت الرستمية. مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة تلمسان. 2009-2010.

لعريبي بلال:

- انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي من الفتح إلى استقرار بني هلال. أطروحة دكتوراه. المدرسة العليا للأساتذة. بوزريعة. الجزائر. 2017 – 2016.

وردة سلطاني:

- أشكال السرد في الأدب الجزائري القديم. أطروحة دكتوراه علوم. جامعة باتنة. 2013-2014.

- المواقع الالكترونية:

بكاري عبد القادر:

- عبد الرزاق بن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بلسان المقال في النبأ عن النسب والحسد والحال. ينظر الموقع الالكتروني:

https://binbadis.net/archives/7466

الطاهر الطويل:

- المدينة الاسلامية ودورها الحضاري ببلاد المغرب الأوسط حتى القرن الثالث الهجري، مدينة تيهرت نموذجا. ينظر الموقع الالكتروني:

https://dspace.univ-adrar.dz/jspui/handle/123456789/3472

عبد القادر بن مسعود:

- تلمسان الجزائرية قرطبة أفريقيا التي يخشاها العثمانيون. ينظر الموقع الإلكتروني:

https://www.sasapost.com/city-of-tlemcen/

لمياء علي حسين:

- شعر الطبيعة في الأندلس أسبابه وخصائصه. ينظر الموقع الالكتروني:

http://altaakhipress.com/viewart.php?art=117164#_ftn2

محمد القاضي:

- النهضة الفكرية والأدبية في عصر الموحدين بالمغرب. ينظر الموقع الإلكتروني:

http://alwaei.gov.kw/volumes/554/langAndLit/Pages/nahda.aspx

المـــــــــحتويات

مقدمة.....1

المحاضرات.....05

المحاضرة الأولى: فتح الجزائر وتعرّب سكانها.....06

أولا . الجزائر قبل الإسلام.....06

ثانيا . الجزائر العربية.....14

المحاضرة الثانية: انتشار اللغة العربية، والحواضر الأدبية في الجزائر.....18

أولا . انتشار الإسلام.....18

ثانيا . انتشار اللغة العربية.....20

ثالثا: الحواضر الأدبية في الجزائر.....23

المحاضرة الثالثة: الأدب في عهد الرستميين (144 -296هـ).....30

أولا: في نشأة الإمارة وسقوطها.....30

ثانيا: في أدب الإمارة الرستمية.....33

المحاضرة الرابعة الأدب في عهد الأغالبة (184 -296هـ).....41

أولا: في نشأة الإمارة وامتدادها في الأراضي الجزائرية 41

ثانيا: في أدب الإمارة.....42

المحاضرة الخامسة الأدب في عهد الحماديين (405 -547 هـ).....47

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها.....47

ثانيا: في أدب إمارة الحماديين.....49

المحاضرة السادسة الأدب في عهد المرابطين(447 - 540هـ).....65

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها.....65

ثانيا: في أدب الإمارة..... 66

المحاضرة السابعة: الأدب في عهد الموحدين (نحو 515 -674هـ).....69

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها.....69

ثانيا: في أدب الإمارة.....70

المحاضرة الثامنة الأدب في عهد الحفصيين (627 - 943هـ).....83

أولا/ في أدب قيام الإمارة وسقوطها.....83

ثانيا: في أدب الامارة.....84

المحاضرة التاسعة : الأدب في عهد الزيانيين (633 هـ - 962 هـ).....93

أولا: في قيام الإمارة وسقوطها.....93

ثانيا: في أدب الإمارة 94

المحاضرة العاشرة الأدب في العهد العثماني (962هـ - 1830م).....108

أولا: في قيام الامرة وسقوطها.....108

ثانيا: في أدب الإمارة.....110

المحاضرة الحادية عشر: بكر بن حماد التيهرتي (200 -296هـ).....130

أولا: في التعريف ببكر بن حماد.....130

ثانيا: في تجربته الشعرية وجماليتها.....131

المحاضرة الثانية عشر: أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني.....139

أولا: في التعريف بابن الفكون.....139

ثانيا: في تجربته الشعرية وجماليتها.....139

المحاضرة الثالثة عشر: ابن خميس التلمساني (650 - 708هـ).....145

أولا: في التعريف بابن خميس.....145

ثانيا: في تجربته الشعرية وجماليتها.....147

المحاضرة الرابعة عشر: أبو العباس الغبريني(644 -704هـ).....155

أولا: في التعريف بأبي العباس الغبريني.....155

ثانيا/ في التعريف بكتابه ومنهجه فيه.....157

المحاضرة الخامسة عشر: ابن ميمون الجزائري (المتوفى بعد 1120هـ)....160

أولا: في التعريف بابن ميمون.....160

ثانيا: في التعريف بكتابه ومنهجه فيه.....161

المحاضرة السادسة عشر: ابن حمادوش الجزائري (1107 -1200هـ)....167

أولا: في التعريف بابن حمادوش.....167

ثانيا/ في رحلة ابن حمادوش ومضمونها.....168

خاتمة.....172

قائمة المصادر والمراجع.....175

المحتويات.....187